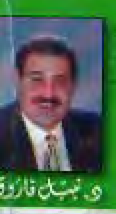

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
153
الأحراش
RAYAHEEN^
www.liilas.com/vb3



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

- حرب طاحنة، للقضاء على (أدهم) وفريق مخابراته العربي.. في أرض العراق..
- وقتال آخر يدور في (بوجوتا) ..
- وصراع بين مستر (X) والزعيمة الغامضة ..
- وكل شيء يوحي بأن العالم كله قد تحوّل إلى أحراش وحشية ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل)

153



المغامرة القادمة

الحرب







رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب « رجل المستحيل » .

د. نبيل فاروق

١ـ مذبحة ..

ارتسم انفعال عجيب ، على وجه الجنرال (أيكون) ، مسئول الأمن الأمريكى فى العراق ، وهو يتابع على شاشة خاصة فى مكتبه المؤمّن ، تلك الحملة العسكرية الوحشية ، التى يشنها رجاله على تلك البقعة فى مدينة (الفالوجا) ، حيث يختبئ (أدهم صبرى) ، مع فريقه المكوّن من ثلاثة من أقوى وأبرع رجال المخابرات العربية ، الذين نذروا أنفسهم لمقاومة الاحتلال الغاشم لشقيقة عربية ..

كان يتابع الموقف ، وذهنه يستعيد كل الأحداث الماضية ، التى دفعته إلى القيام بهذا العمل الرهيب ..

فبعد اختفاء (أدهم) ورفاقه ، فى جزيرة الزعيمة الغامضة ، إثر الانفجار الرهيب ، الذى سحقها سحقًا(*) ، تصوّر الكل أنها النهاية ..

نهاية رجل المستحيل ..

ولكن فجأة ! ظهر ذلك الغامض هناك ..

(*) راجع قصة (النهاية) .. المغامرة رقم (١٥٠) .

فى أرض (العراق) ..

لا أحد يدرى متى أو كيف جاء ..

ولكنه ظهر هناك ..

ظهر ليوجِّه ضربات عنيفة قاسية ، لقوات الاحتلال الأمريكى ، فى كل مكان من أرض (العراق) ..

ضربات قوية ، متقنة ، ذات طابع خاص ، يحمل توقيعه ..

توقيع (أدهم صبرى) ..

وهكذا أدرك الكل أنها لم تكن النهاية ..

وأن الأسد قد عاد ..

ولأن الأمـر أخطـر مـن أن يتـمّ تجـاوزه أرسـل الإسرائيليون أقوى رجال مخابراتهم (إيتـان كوهين) ، مع فريقه الخاص ؛ لتحقق هدفين شديدى الأهمية ..

أولهما القضاء على (أدهم صبرى) ..

وثانيهمـا احتلال قطعـة مـن الأرض ، تصبـح نـواة لاستعمار إسرائيلى جديد ..

وكان على (أدهم) وفريقه أن يقاوما الهدفين ..

وبمنتهى القوة ..

ولكن الجنرال (أيكون) أصابه جنون الانتقام ..

وبدأ يقيم المذابح ، على أرض (العراق) .

ويريق الدم العربى ..

أنهارًا ..

فى الوقت ذاتـه ، ظهرت الصينيـة الحسنـاء (تيـا) للتفاوض مع مستر (X) ، الزعيم الرهيب لأقوى منظمـات الجاسوسية الخاصة ، فى سبيل تسليمه أربعـة من الأسرى ، الذين تصوَّر الكل أنهم قد لقوا مصرعهم من قبل ..

رفاق (أدهم) ..

(منى) ..

و (وقدرى) ..

و (شريـف) ..

و (ريهام) ..

ولكنها أخبرته أنهم هناك ، فى أحراش (كولومبيا) ، تحت حراسة إمبراطور المخدرات هناك (بابلو لاماس) ..

وهنا بدأت الأمور تتعقَّد على نحو كبير ..

الأمريكيون شنوا حملة عسكرية على (لاماس) ، بأوامر من مستر (X) ..

و (لاماس) قرَّر قتل الأسرى ..

والمخابرات المصرية أدركت أن (أدهم) على قيد الحياة ..

وأجرت اتصالا حيويًا غير مباشر معه ..

والزعيمة الغامضة عادت للظهور فى (روسيا) ..

والجنرال (أيكون) بدأ مذبحة جديدة ..

مذبحة للقضاء على (أدهم) وفريق مخابراته الصغير ..

مذبحة رهيبة ..

إلى أقصى حد(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى (العودة) ، و (القناع) ، المغامرتين رقمى (١٥١) ، و (١٥٢) .

وفى تلك اللحظات ، وبينما يتابع مذبحته ، كان (أيكون) يحمل فى أعماقه كل غضب ومقت وكراهية الدنيا ، تجاه شخص واحد ..

(أدهم صبرى) ..

وفى سبيل القضاء عليه ، كان قد حشد قوة هائلة ، لمهاجمة حى واحد ..

عشر دبابات ..

خمس طائرات هليكوبتر (أباتشى) ، مزوَّدة بالصواريخ ..

مائة مقاتل ..

قاذفات لهب ..

صواريخ ..

أطنان من الذخيرة ..

كان يدرك جيِّدًا أنه لن يظفر بالأسود الأربعة ، إلا لو أفنى الحى كله ..

بل المنطقة بأكملها ..

ودون ذرة من الإنسانية ..

أو الرحمة ..

أو العقل ..

وعندما بدأ الهجوم ، تألقت عيناه فى ظفر ..

وشماتة ..

ووحشية ..

عشرات الصواريخ انهالت على ذلك الحى العراقى البسيط ..

ودفقات من نيران قاذفات اللهب ..

وأمطار من الرصاصات ..

وكالطوق ، أحاطت القوات الأمريكية بالحى ، وراحت تتقدّم فى دائرة محكمة ، بحيث لاتترك فيما بينها ثغرة واحدة ، تكفى لفرار بعوضة ..

وكانت تتحرك كلها بأوامر واضحة محدودة ..

القضاء على كل الأحياء ..

دون استثناء ..

ودون رحمة ..

وتصاعدت صرخات النساء والأطفال ..

ودافع الرجال عن حياتهم باستماتة ..

وظهر رجال المقاومة بين الصفوف ..

وقاتلوا ..

وقتلوا ..

ومن بعيد ، راقب رجل المخابرات الإسرائيلى (إيتان) مايحدث ، عبر منظاره المقرّب ، وهو يقول لمعاونه الأوّل فى ارتياح :

ـ فعلها (أيكون) .

غمغم معاونه :

ـ نحن دفعناه إلى فعلها .

ابتسم (إيتان) فى خبث ، وهو يخفض المنظار عن عينيه ، قائلا :

- هذا هو الأسلوب الأمثل يا رجل .. لماذا تجازف بالمواجهة ، مادمت تستطيع دفع غيرك إليها !

غمغم معاونه :

- بالضبط .

عاد (إيتان) يبتسم في خبث ، وهو يرفع المنظار مرة أخرى إلى عينيه ، قائلاً :

- ما يفعله (أيكون) الآن ، سيحقق أحد هدفين نطمح إليهما ، وربما كليهما في آن واحد ، فإما أن يقضي على غريمنا الأول (أدهم صبري) وفريقه المخابراتي المحدود أو يقضي على مستقبله هو ، بعد أن تنشر تفاصيل هذه المذبحة ، مع ما يلتقطه فريقنا من صورها ، أو ..

« رباه ! » ..

قطع عبارته بغتة ، ليهتف بالكلمة ، فسأله معاونه في توتر بالغ :

- ماذا هناك يا أدون (كوهين) ؟!

ناوله (إيتان) منظاره ، وهو يقول في عصبية :

- انظر بنفسك ..

فما رصدته عينا رجل المخابرات الإسرائيلي ، في تلك اللحظات ، كان مذهلاً ..

بكل المقاييس ..

فبينما تضيق دائرة القتال الوحشي ، نحو عرين الأسود ، فوجئ الكل بغتة برجلين يندفعان من أسفل إلى أعلى ، بوساطة منجنيق بدائي ، ليطير جسداهما عبر النيران والدخان ، ويتعلق كل منهما بواحدة من طائرات الهليكوبتر (الأباتشي) ، التي تهاجم الحي بصواريخها ..

كان مشهداً مذهلاً ، لم ير الرجال ، أو حتى يتصوروا مثيلاً له قط ، وبخاصة عندما نجح الرجلان في دخول الطائرتين في الهواء ، بسرعة ومهارة بلغتا الوصف ..

وعلى الرغم من أن كل هليوكوبتر منهما كانت تضم ثلاثة من الطيارين الأمريكيين ، إلا أنه بعد دقيقة واحدة ، كان كل من الرجلين يسيطر على الهليكوبتر التي اقتحمها تماماً ..

ثم بدأ هجوم عكسي عنيف ..

كل رجل منهما قاد الهليكوبتر، التى سيطر عليها؛ لمواجهة الطائرات الثلاثة الأخرى، التى أدرك طياروها متأخرًا، طبيعة الخطر الذى يواجههم ..

وفى سماء المعركة، تقاتل أسدان مع ثلاثة من الذئاب ..

بمنتهى القوة ..

والبراعة ..

والبسالة ..

والعنف ..

وفى الوقت ذاته، ومع انشغال الجنود الأمريكيين بما يدور فوق رءوسهم، فى سماء المعركة، مما لم يتوقعوه قط، اندفع أسد ثالث، فى زى الجنود الأمريكيين، يخترق صفوفهم، ويذوب بينهم ..

وتفجّر جنزير دبابة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم سادت الفوضى بين الصفوف، مع سقوط طائرتى هليوكوبتر، انفجرتا فور ملامستهما الأرض ..

وأدرك الأمريكيون أنهم يقاتلون أسودًا ..

أسودًا حقيقية ..

قوية ..

ذكية ..

جريئة ..

وعربية ..

ولأنهم يجهلون هوية خصمهم، الذى يرتدى نفس أزيائهم القتالية، دب فى صفوفهم اضطراب عنيف، وهلع لامحدود، وراحت رصاصاتهم تنطلق فى كل الاتجاهات، وتصيب من رفاقهم، أكثر مما تصيب من العراقيين ..

أضف إلى هذا سقوط الأباتشى الثالثة، وتحرك الطائرتين، اللتين سيطر عليهما أسدا المخابرات العربية، لقصف قواتهم، بدلاً من ذلك الحى العراقى ..

وبكل انفعال الدنيا، ضغط (إيثان) زر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود، الذى يحمله، وهو يهتف برجاله :

- هل صورتم كل هذا ؟!

أجابه أحدهم فى انفعال :

- كل لمحة منه أيها القائد .

هتف (إيتان) :

- عظيم .

ثم التفت إلى معاونه ، مستطردًا بكل انفعاله :

- احرص على أن يصل هذا الفيلم إلى (واشنطن) ، بأسرع وسيلة ممكنة .

هتف معاونه فى حماس :

- بالتأكيد .

وهنا لهث (إيتان) ، من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- بهذا وقّع (أيكون) شهادة وفاته .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الجنرال (أيكون) يستشيط غضبًا فى حجرته ، وهو يتابع الموقف على شاشة راصدة ، هاتفًا ، وهو يلوّح بقبضته فى الهواء :

- الأغبياء ! لقد سمحوا لهم بإرباكهم .. ثلاثة رجال فحسب أشاعوا الاضطراب فى قواتى كلها .. يا للعار ! يا للـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يهتف :

- مهلا .. هؤلاء ثلاثة رجال فحسب ! أين الرابع إذن ؟!

« هنا .. »

انبعث الجواب من خلفه مباشرة ، فانتفض جسده فى عنف ، واستدار بكيان مرتجف ، يحدّق مذعورًا فى (أدهم) ، الذى جلس فى ركن مكتبه ، بهيئته العادية ، دون أى تنكر ، وهو يمسك مدفعه الآلى أمام وجهه ، ويستند إليه فى هدوء ، بدا مخيفًا للغاية فى تلك اللحظة ، حتى أن صوت (أيكون) حمل رعبًا بلا حدود ، وهو يتساءل ، ويده تتسلل ، للوصول إلى زر الإنذار ، المخفى فى إطار مكتبه :

- كيـ... كيف دخلت إلى هنا ؟!

أجابه (أدهم) ، بهدوئه الرهيب :

- أهذا كل مايشغلك الآن ؟!

اتسعت عينا (أيكون) عن آخرهما، وتجمدت يده، فى طريقها إلى زر الإنذار، وهو يحدّق فى عينى (أدهم)، اللتين حملتا قدرًا هائلاً من الغضب والصرامة، على الرغم من الهدوء الرهيب، فى ملامحه وصوته، وهو يتابع :

- لماذا تفعل هذا ؟!

ردّد (أيكون)، بصوت ارتجف كل حرف من حروفه :

- أفعل ماذا ؟!

ارتفع حاجبا (أدهم)، وهو يرفع حاجبيه، قائلاً فى غضب :

- تفعل ماذا ؟! أتسألنى تفعل ماذا ؟! ألاتدرك حقًا ماتفعله ؟! ألم تتذوق طعم الدم العربى، الذى أرقته أنهارًا ؟! ألم تراودك الكوابيس ليلة واحدة، لما أزهقت من دماء النساء والأطفال والشيوخ ؟! ألم ينتابك الندم لحظة واحدة، على ما اقترفته من آثام ؟!

انتفض جسد (أيكون)، وهو يقول فى عصبية :

- إننى أؤدى واجبى.

هب (أدهم) واقفًا بحركة حادة، وحمل مدفعه الآلى معه، وهو يهتف بكل الغضب :

- أى واجب ؟! إنك محتل غاصب .. أجنبى، جاء من بلاده، ليعتدى على أرضنا، ويريق دماءنا.

صرخ (أيكون) :

- أنتم أيضًا أرقتم دماءنا، وكنتم البادئين بالعدوان .. إننا ندافع عن كياننا وحريتنا، وحقنا فى الحياة.

صاح (أدهم) :

- وماذا عن حقنا نحن ؟!

امتقع وجه (أيكون)، الذى بلغت سبّابته زر الإنذار، وهو يقول :

- سل قومك عنه .. إنهم ينتهكون حقوق بعضهم منذ زمن طويل .. حتى الآن، لايمكنك أن تدعى أنهم متحدون، أو أنهم جميعًا على حق .. حتى

الإرهابيين ، الذين تصفونهم بالمقاومة ، ليسوا فرقة واحدة .. وليسوا مقاتلين شرفاء .. ألم يريقوا أيضًا الدم العربي ، بقنابلهم العشوائية ، التي تقتل من العراقيين ، أكثر مما تقتل منا ؟! ألم ينتقلوا بتفجيراتهم إلى المدنيين والأبرياء ، في أوروبا ، وآسيا ، وحتى عندكم في (مصر) .. ألم يختطفوا سفيركم ، و ...

قاطعه (أدهم) بمنتهى الصرامة والغضب :

ـ كفى .

ضغط (أيكون) زر الإنذار ، وهو يرتجف ، قائلاً :

ـ لم تحتمل سماع خطاياكم .

ردد (أدهم) في مقت :

ـ خطايانا ؟! وماذا عن خطاياك ؟!

تعالى وقع أقدام طاقم أمن القيادة ، وهم يعدون نحو حجرة جنرالهم ، استجابة للإنذار ، ولكن (أدهم) لم يبد أدنى اهتمام بهذا ، وهو يصوّب فوهة مدفعه الآلي إلى (أيكون) ، قائلاً بكل صرامته :

ـ مر رجالك بإيقاف المذبحة فورًا .

هزّ (أيكون) رأسه ، والعرق الغزير يغمر وجهه ، قائلاً :

ـ لن يستجيبوا لي ، حتى ولو استخدمت كل الأكواد السرية لدينا ، فهذه أوامري لهم .

جذب (أدهم) مشط مدفعه في حزم ، فلوّح الجنرال الأمريكي بذراعيه ارتياعًا ، وهو يهتف ، ووقع الأقدام يقترب من الباب :

ـ كنت أخشى ما فعلته الآن ، أو ما يمكن أن تفعله ، بقدرتك المذهلة على تقليد الأصوات ، فأمرتهم بعدم التراجع ، إلا بعد تنفيذ المهمة .. حتى طاقم الأمن بالخارج ، سيقتحم الحجرة ، ولو أمرته بالتراجع .

صوّب (أدهم) مدفعه إليه ، فصرخ مستطردًا :

ـ إنها ضمانات أمن .

أطلت صرامة رهيبة من عيني (أدهم) ، الذي لم يعلّق بحرف واحد ، فصرخ (أيكون) بكل الرعب :

ـ إنك لن تقتلني .. ملفك يقول إنك لا تقتل أبدًا .

أجابه (أدهم)، بصوت أكثر قساوة من الجليد:

- إلا بالحق.

سمع أفـراد طـاقم الأمن دوى الرصاصـات بـالداخل، فـاطلقوا نيران مدافعهم على رتـاج البـاب، واقتحمـوا حجرة الجنرال بمنتهى العنف، ليجدوه أمـامهم جثـة هامدة، جاحظة العينين فى رعب وألم..

أما (أدهم)، فقد اختفى من المكان..

تمامًا..

* * *

لم تشهد (العراق) كلها معركة حامية الوطيس، كتلك التى شهدها ذلك الحى المنكوب.. فرجال المخابرات العربية الثلاثة، راحوا يقاتلون كالأسود، بما استولوا عليه مـن أسلحة العدو، وانضمّ إليهم عشرات من رجال المقاومة، الذين بدوا أحرص على الموت، منهم على الحياة.

وعلى الرغم من دوى الرصاصات، و(قرقعة) النيران وإيقاع الانفجارات تعالى من الحنـاجر العربيـة هتافًا، انخلعت له قلوب أعدائهم..

الله أكبر..

صيحـة واحدة، رددتهـا الحلوق العربيـة مجتمعـة، فخرجت قويـة، هـادرة، تصنـع حـاجزًا أمـام القنـابل، والرصاصات، وألسنة اللهب..

وعلى الرغم من أن الأمريكيين لم يفهموا مـا تعنيـه، إلا أنهـا وجدت صـدى فـى عقولهـم، وارتجفـت لهـا قلوبهم، وبدءوا فى التراجع والانسحاب..

كان يذهلهم ويفزعهم أن دباباتهم تحصـد واحدًا من رجال المقاومـة، فـيبرز بـدلا منـه خمسـة، وتحصـد الخمسة، فيأتى مائة..

وفى ظاهرة فريدة، لم تحدث إلا فى حرب السـادس من أكتوبر عام ثلاثة وسبعين، استدارت الدبابة تفر من أمام مقاتل عربى[*].

ثم فجأة! ظهرت تلك الهليكوبتر، فى سماء المعركة..

(*) فى كتابهم (التقصير)، الصادر بعد حرب ١٩٧٣م، قال أحد قادة إسرائيل إن قادة دباباتهم أصيبوا بالذعر، مـع تدفق المشاة، فتراجعت دباباتهم هاربة منهم، خاصة وأن أحدًا لم يفهم معنى صيحة (الله أكبر)، ولكنهم جميعًا شعروا بالرعب منها.

هليكوبتر قوية ، تحمل شعار القيادة الأمريكية ، ويطل منها (أيكون) بنفسه ، صائحًا عبر مكبر صوتى قوى :

ـ أوقفوا القتال .. أعلم أن أوامرى تمنعكم من هذا ، ولهذا أتيت بنفسى .. لقد تلقينا أوامر من (واشنطن) بإيقاف القتال فورًا .. هذا أمر .

لم يكن الجنود المذعورون يحتاجون إلى أكثر من هذا ، ليبدءوا انسحابهم فورًا ..

والمدهش أن طائرتى الهليكوبتر (الأباتشى) ، اللتين استولى عليهما (أكرم) و (وجيه) ، كانتا أول المنسحبين ، مما أثار انتباه (إيتان) ، الذى يراقب المشهد من بعيد ، فغمغم فى انفعال :

ـ إنه هو .

تساءل معاونه فى توتر :

ـ من ؟!

خفض (إيتان) منظاره ، وهو يقول بنفس الانفعال :

ـ (أدهم صبرى) .. لقد فعلها كما توقعنا .

قالها ، ثم انتزع جهاز اللاسلكى من جيبه ، وهو يضغط زره ، مضيفًا عبره :

ـ نفذ الخطة (ب) .. فورًا .

مع قوله ، برز أحد رجاله ، من موقع قريب من ساحة المعركة ، وهو يحمل مدفعًا صاروخيًا على كتفه ، صوبه فى إحكام إلى الهليكوبتر ، التى يطل منها (أدهم) ، فى هيئة (أيكون) ، فى حين قال المعاون لـ (إيتان) فى توتر :

ـ وماذا لو أنه الجنرال (أيكون) الحقيقى ؟!

مطّ (إيتان) شفتيه ، قائلاً :

ـ لن نخسر كثيرًا .

ثم ضغط زر الاتصال ، هاتفًا :

ـ الآن .

ومع هتافه ، ضغط الرجل زناد المدفع الصاروخى ..

وانطلقت قذيفته ..

وانفجرت الهليكوبتر فى سماء المعركة ..

بمنتهى العنف ..

* * *

٢ـ رجل المخابرات ..

« نعم .. إنها على قيد الحياة .. » ..

تمتمت الصينية الحسناء (تيا) بالعبـارة ، فى تهالك شديد ، وهى تفتح جفنيها بالكاد ، داخل تلك الحجرة الصغيرة ، التى لاتحوى سوى مقعد معدنى ، وشاشة اتصال كبيرة ، فقال مستر (X) فى قسوة :

ـ وأين هى الآن ؟!

هزّت (تيا) رأسها فى صعوبة ، متمتمة :

ـ لست أدرى .

تراجع فى مقعده بمنتهى البطء ، وهو يقول :

ـ تعلمين أنك ستبقين هنا ، دون طعام أو شراب ، حتى أحصل على أجوبة .

تمتمت ، وهى تحاول الاسترخاء ، من فرط التعب :

ـ اقتلنى ألف مرة ، ولن تحصل إلا على ما أعرفه .

قال بمنتهى القسوة :

- أنت تعلمين أين هى!

صمتت (تيا) طويلا هذه المرة، حتى خيّل إليه أنها فقدت وعيها، فاعتدل فى مقعده، فى قلق واضح، إلا أنها قالت فى خفوت:

- لو أنك تعرفها جيدًا، لأدركت أنه لا أحد يمكن أن يعلم أين هى، ولا ما الذى تفعله بالضبط!

عبارتها أثارت فى أعماقه توترًا شديدًا، وجعلته يسترجع ذكرى بغيضة، فى مواجهته الأولى مع تلك الزعيمة الغامضة، فقال فى عصبية:

- أريد أجوبة، وإلا ...

استوقفته (تيا)، وهى تعتدل فجأة، قائلة:

- أنت تصرّ إذن.

خيّل إليه أنها تعلن استسلامها، فاعتدل، قائلًا فى حزم:

- بكل تأكيد.

نهضت بنشاط مفاجئ، وهى تقول فى توتر:

- إذن فلم يعد هناك خيار ثالث .. إما أن أخبرك أين الزعيمة، أو أموت.

قال بمنتهى القسوة:

- بالضبط.

حملت ملامحها مقتًا واضحًا، وهى تغمغم:

- فلنختصر العذاب إذن.

مع نهاية عبارتها، انحنت بحركة مباغتة، وبدت كما لو أنها قد احتضنت المقعد المعدنى بكل قوتها، ثم تخلت عنه دفعة واحدة، ثم نهضت، ورفعت يديها أمامها، وسال الدم من جرحين قاطعين حادين فى معصميها، وهى تقول، فى لهجة شامتة:

- كنت واثقة من وجود أجزاء حادة.

كانت الدماء تنتثر من الجرحين كنافورتين حمراوين، ووجهها يزداد شحوبًا، على الرغم من ابتسامتها، وهى تضيف:

- أظنك بهذا قد خسرت.

ثم أطلقت ضحكة ساخرة مرهقة ، قبل أن تسقط على وجهها ، فأسرع مستر (X) بضغط زراً إلى جواره ، وهو يهتف :

- فريق إسعاف .. بسرعة .

لم يكن واثقًا من إمكانية إسعافها ، بعد كل ما بذلته من جهد ، فى الأيام السابقة ..

ولكنه كان يحتاج إلى تلك الأجوبة بشدة ..

بمنتهى الشدة ..

ففى مرحلة كهذه ، يصبح من الخطر أن تتحرك تلك الزعيمة ، دون أن يعرف أحد مسارها أو هدفها ..

من كل الخطر ..

* * *

امتقع وجه مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، وهى تحدق فى وجه مدير المخابرات المركزية ، قائلة فى ارتياع :

- فقدنا قواتنا فى أحراش (كولومبيا) ؟! أأنت واثق يا رجل ؟!

أومأ مدير المخابرات الأمريكى برأسه إيجابًا ، وقال فى حنق :

- (باولو لاماس) أبلغنا هذا بنفسه ، وأرسل شريط فيديو ، إلى سفارتنا فى بوجوتا ، أثار ذعر سفيرنا هناك ، فأرسله إلينا بطائرة خاصة .

سألته فى عصبية :

- أى شريط هذا ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى توتر :

- الأفضل أن ترى بنفسك .

قالها ، وضغط زر جهاز الفيديو إلى جواره ، وتعلق بصرها بشاشة التلفاز الكبير ، الذى ظهرت عليها صورة مجموعة من الجنود الأمريكيين ، هم كل من تبقى من أفراد الحملة العسكرية ، على معسكر (لاماس) ، فى أحراش (كولومبيا) ، ثم ظهر أمامهم (لاماس) نفسه ، بجسده الضخم القوى ، وهو يحمل مدفعًا آليًا كبيرًا ، ويحتضن (لوتشيا) ، التى بدت جزلة على نحو مبالغ ، وصديقها يقول بإنجليزية ركيكة :

ـ أرسلتم قواتكم لمواجهتي .. يالكم من أغبياء .. لا أحد يمكنه أن يصمد أمام قواتي ، وبخاصة عندما تدور المعركة في أرضي .. لقد حصدنا معظم رجالكم ، وسحقناهم بلا رحمة .. وهؤلاء من تبقى منهم .

غمغمت مستشارة الأمن القومي في عصبية :

ـ لقد أسر جنودنا .

قال مدير المخابرات في خفوت :

ـ كلا .. لم يفعل .

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

ـ ولكن هذا ...

قاطعها في صرامة متوترة :

ـ تابعي .

عادت تدير عينيها إلى الشاشة ، و (لاماس) يكمل ، بلهجته الغليظة القاسية ، وأمريكيته الركيكة :

ـ كنت أتمنى الاحتفاظ بهم ، أو إرسالهم إليكم في طرد أنيق ، ولكن المشكلة أن تماسيحي جائعة ، والغذاء ليس متوافرًا بكثرة هنا .

مع قوله ، انقض رجاله على الجنود الأمريكيين ، وقيدوا معاصمهم خلف ظهورهم في إحكام ، ثم كمموا أفواههم ، وألقوهم أرضًا ، في مشهد رهيب ، انحبست له أنفاس مستشارة الأمن القومي ، حتى إن صوتها خرج مرتجفًا ، ممتقعًا ، وهي تتساءل مذعورة :

ـ ماذا يفعلون بهم ؟!

أجابها مدير المخابرات في عصبية :

ـ انتظري ، وسترين .

عادت بكل رعبها إلى الشاشة ، التي دارت عليها الكاميرا ، التي تسجل الحدث ، لتنقل صورة بحيرة كبيرة ، تسبح فيها تماسيح ضخمة ، و(لاماس) يشير إليها بابتسامة وحشية ، قائلاً :

ـ هل ترون ؟! تماسيحي أيضًا ترسل إليكم التحية ، وتستعد لوجبة الصباح .

وبإشارة صارمة في يده ، حمل اثنان من رجاله أحد الجنود ، المقيدين والمكممين إلى البحيرة ..

وألقوه فيها ..

وفى سرعة وشراهة ، انقضت عليه التماسيح ..

وكان المشهد رهيبًا بشعًا ..

إلى أقصى حد ..

ولم تحتمل مستشارة الأمن القومى المشهد ..

لم تحتمله ، وهى تثب إلى جهاز الفيديو ، وتضغط زر إغلاقه ، وهى ترتجف ، هاتفة فى ارتياع :

ـ يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

عض مدير المخابرات شفتيه ، قائلاً فى مرارة :

ـ إنه يلقننا درسًا .

ثم انفجر فجأة ، مستطردًا :

ـ لقد عارضت هذا منذ البداية .. عارضت القيام بعملية عسكرية سريعة وغير مسئولة .

استعادت صرامتها الشرسة ، وهى تقول فى حدة :

ـ اصمت .

ثم شدت قامتها ، مستطردة فى عصبية :

ـ إننا لم نكن نملك خيارًا ، وأنت تعرف هذا جيدًا .

لوّح بيده ، قائلاً فى غضب :

ـ وكيف سنبرّر هذا لأسر أولئك الجنود المساكين ؟! كيف سنخبرهم أننا قد أرسلناهم إلى أحراش (كولومبيا) ، دون ضرورة ملحة ، فلقوا حتفهم برصاصات تجار ومهربى المخدرات ، أو بأنياب تماسيح جائعة .

حاولت أن تبدو باردة متماسكة ، وهى تقول :

ـ ليست هناك ضرورة لأن نفعل .

هتف بها :

أمر كهذا لايمكن أن يمضى بلا تفسير .

قالت فى عصبية :

ـ لقد وضعنا التفسير ، قبل حتى أن يذهبوا .

حدّق فيها متسائلا ، فتابعت بنفس العصبية :

ـ لو راجعت ملف العملية ، فى وزارة الدفاع ، فستجد أن الأوراق الرسمية كلها تشير إلى أن أولئك الجنود

سافروا فى مهمة خاصة ، للقضـاء على الإرهابيين فى (العراق) ، وليس فى (كولومبيا) .

بهت لقولها ، وغمغم :

ـ هل زيّفتم الأوراق الرسمية ؟!

قالت بمنتهى العصبية :

ـ إننا نحمى أنفسنا .

تراجع فى مقعده ، وهو يتطلّع إليها بنظرة ، حاول أن يخفى ماتحويه من ازدراء ، إلا أنها لمحت مشاعره فى عينيه ، فقالت فى صرامة غاضبة :

ـ الرئيس أمرك بالبحث عن مستر (X) فما الذى توصلت إليه فى هذا الشأن ؟!

قال ، وهو ينهض من خلف مكتبه :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا .

قالت فى حدة :

ـ من الواضح أن هذا لايكفى .

رمقها بنظرة أخرى لم ترق لها ، ثم أدار عينيه يتطلع عبر النافذة ، على نحو استفزها ، فقالت فى حدة :

ـ لم أسمع جوابك .

صمت لحظة ، وهو يوليها ظهره ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلمين ! إننى أتمنى أحيانًا لو أنه لدينا شخص مثله .

تساءلت فى حذر :

ـ مثل من ؟!

استدار إليها ، مجيبًا فى حزم :

ـ (أدهم صبرى) .

واحتبست أنفاسها ، دون أن تنطق حرفًا واحدًا .. على الإطلاق ..

* * *

بدا رجل المخابرات الأردنى (وجيه الهاشمى) شاحبًا متوترًا ، وهو يدلف إلى المخبأ الاحتياطى للمجموعة ، قائلاً :

- لم نعثر له على أدنى أثر .. حتى بين أشلاء الضحايا .

تبادل السورى (أكرم كيلانى) ، والمغربى (محمد بن على) نظرة صامتة متوترة ، قبل أن يقول الأول :

- أين ذهب إذن ؟! لقد رأيناه جميعًا ينتحل هيئة ذلك الوغد (أيكون) ، فى هليوكوبتر القيادة ، التى تم نسفها من مصدر مجهول .

هز المغربى رأسه ، وهو يقول فى عصبية :

- أخشى أن ...

قاطعه السورى فى حدة :

- إياك أن تنطقها .

أجابه المغربى فى غضب :

- ألديك تفسير آخر .

مط السورى شفتيه ، وكأنما لا يروق له هذا ، وأشاح بوجهه فى توتر ، فقال الأردنى فى حزم :

- هل سنضيع الوقت فى صراعات داخلية ، تنسينا هدفنا الرئيسى .

صمت الاثنان بضع لحظات ، قبل أن يقول السورى :

- سنعد خطة منظمة للبحث عنه ، عبر ثلاثة محاور رئيسية ، و ...

« لاداع لهذا .. »

قاطعه صوت حازم قوى ، التفت إليه ثلاثتهم فى لهفة ، ليهتف المغربى فى انتعاش وفرحة :

- الأستاذ !!

اندفع الثلاثة نحو (أدهم) فى حماس ، يهنئونه بالنجاة ، وسأله السورى مبهورًا :

- ولكن كيف فعلتها ؟! كيف نجوت من انفجار الهليكوبتر .

بدا (أدهم) هادئًا بسيطًا ، وهو يضع مدفعه الآلى جانبًا ، ويتجه نحو حجرته الخاصة ، قائلاً :

- لقد وثبت منها فى الوقت المناسب .

هتف ثلاثتهم مبهورين فى دهشة :

- وثبت منها ؟!

ثم أضاف (أكرم) مشدوهًا :

ـ بهذه البساطة ؟!

أجابه (أدهم) بنفس الهدوء، وكأنما يتحدث عن أمر بسيط :

ـ لقد لمحت الصاروخ ينطلق نحو الهليكوبتر، وكانت قريبة من أسطح المنازل، فتواريت بدخان نيران المعركة، ووثبت إلى أقرب سطح، ودوى الانفجار خلفى، وأنا أنبطح أرضًا، و ...

استوقفه ذلك الانبهار، المحفور على وجوههم، والمطل من عيونهم، فانعقد حاجباه وهو يقول :

ـ كل منكم كان بإمكانه أن يفعل ما فعلت، فى ظروف مماثلة .

تبادلوا نظرة صامتة، ثم قال المغربى مبتسما :

ـ ربما، ولكن ليس حتمًا بهذه البساطة .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ لا يمكنك أن تعرف، إلا عندما تختبر بنفسك .

ثم شد قامته، وهو يضيف :

ـ والآن، اسمعونى جيدًا ؛ فهناك أمور ينبغى حسمها، قبل أن أرحل .

صدمتهم كلمته الأخيرة، فهتفوا معًا فى انزعاج :

ـ ترحل ؟!

استوقفهم بإشارة حاسمة من يده، قبل أن يتحرك فى المكان، متابعًا فى لهجة حاسمة :

ـ عندما أتيت إلى هنا، بعد نجاتى من انفجار جزيرة الزعيمة، كنت أسعى للانضمام إلى شبكة مقاومة باسلة، نذرت نفسها لقتال محتل غاصب غاشم، غلبته غطرسة قوته، فاستباح أعراضنا، وأرضنا، وأراق دماءنا، ولكن الأمور هنا لم تعد كما أتمناها .. الفوضى سادت كل شىء، والأمر انقلب من مقاومة شرعية، إلى سباق وحشى، لإثارة الرعب فى نفوس الجميع .. مواطنين ومحتلين .. الأمور خرجت عن نطاقها، والمقاومة اخترقتها فئات أخرى، تسعى لتصفية حسابات شخصية، أو إلى انتقام أعمى غير مدروس، يسىء إلى الجميع .

غمغم السورى :

ـ لهذا يحتاج الأمر إلى قائد .

توقف (أدهـم)، وحمـل صوته كل الأسى والمـرارة فى أعماقه، وهو يقول :

- هذا لايناسبنى .

عضّ شفتيه مع نهاية عبارته، على نحو يوحى بأنه يعانى عذابًا شديدًا، قبل أن يضيف :

- ثم إن لدى أسبابًا، تحتم رحيلى بسرعة .

تساءل الأردنى فى حذر :

- هل يمكننا أن نعرفها ؟!

صمت (أدهم) لحظات، ثم أجاب فى حزم :

- مخابراتى وصلتها معلومات خطيرة، تشير إلى أن رفاقى لم يلقوا مصرعهم فى تلك الجزيرة الشيطانية .

اتسعت عيون ثلاثتهم فى شدة، فتابع فى توتر، لم يشأ كتمانه :

- وأنهم ربما كانوا أسرى هناك، فى أحراش (كولومبيا) .

ران على المكان صمت مهيب، إثر عبارته الأخيرة، ثم لم يلبث السورى أن قطعه، وهو يقول فى حزم :

- سنذهب جميعًا معك .

رفع رأسه فى حسم قوى، قائلاً :

- كلا .. إنها مهمتى وحدى .

كان من الواضح أنه قد اتخذ قرارًا حاسمًا فى هذا الشأن؛ لذا لم يحاول أحدهم مناقشته، إلا أن المغربى قال :

- فليكن .. اذهب أنت لأداء مهمتك أيها الأستاذ، وسنتولى نحن الأمور هنا .

وتساءل السورى :

- ولكن كيف ستغادر (العراق)، وكل محتل هنا يبحث عنك، ويحفظ صورتك عن ظهر قلب ؟!

صمت (أدهم) لحظة أخرى، ثم أجاب فى حزم :

- لاتقلق نفسك بهذا .

ابتسم (أكرم)، قائلاً :

- لست قلقًا .. لقد غلبنى الفضول فحسب .

انعقد حاجبا المعاون ، وهو يتطلّع إلى منطقة أحراش (كولومبيا) على الخريطة ، قبل أن يتساءل :

ـ حتى لو كان هذا هو هدفه ، فلابد لـه من المرور بنا أولاً .

قال المدير فى حزم :

ـ ليس (ن ـ ١) .

ثم التفت إلى معاونـه ، مضيفًا ، وابتسـامة باهتة تتراقص على شفتيه :

ـ ربما كـان هذا مخالفًا لكل القواعد ، ولكنها السمة المميزة لرجلنـا .. إنه لايتخلى عن رفاقه قط .. ثم إن أولئك الذين سيقطع نصف الأرض لإنقـاذهم ، ليسـوا مجرّد رفاق .. إنها زميلته وحبيبتـه (منى) ، وصديق عمره (قدرى) ، وتلميذيه (شريف) و (ريهام) ، وهو لن يضيع لحظـة واحدة ، فى سبيل السعى لاستعادتهم ، وخاصة بعد أن تبيّن له أنهم مازالوا على قيد الحياة .

صمت المعاون لحظة ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ أهم كذلك بالفعل يا سيّدى ؟!

التفت إليه المدير ، متسائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار المعاون بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أننـا قـد استقينا معلوماتنـا من عصـابات الشوارع الكولومبية فى (أمريكا) ، وبعض عيوننـا فى النظام الأمريكى ، ولكننـا لـم نحصـل علـى تـأكيد بصرى قط ، وهذا يضعنـا أمام احتمال أن يكون كل ما لدينا مجرّد شائعات .

أشار المدير بسبّابته ، وهو يقول فى حزم :

ـ مصدرنـاقى (واشنطن) رفيعة المستوى ، ولايستهان بها ، ثم إن التأكيد جاءنا من مصدرين مختلفين .

ـ لست أعترض على هذا يا سيّدى ، ولكن كل معلوماتنـا تقول باحتمال بقاء فريقنا على قيد الحياة ، ولكن تحت حراسة (باولو لاماس) ، إمبراطور المخدرات ، الذى يسيطر على منطقة حصينة ، من أحراش (كولومبيـا) ، ووفقًا للمشـاهدين حـول المنطقـة ، دارت هنـاك معركـة عنيفة ، منذ يوم أو بعض يوم ، ومن المحتمل أن ..

قاطعه المدير فى حزم :

ـ كل شىء محتمل ، فى مثل هذه الظروف .

وعاد يرفع عينيه إلى الخريطة ، مكررًا فى توتر :

ـ كل شىء .

وكان هذا نهاية المناقشة ..

* * *

«بديل الجنرال (أيكون) وصل إلى مكتبه .. » ...

نطق أحد رجال (إيتان كوهين) العبارة ، فى اهتمام ملحوظ ، جعل هذا الأخير يرفع عينيه إليه ، قائلا :

ـ بهذه السرعة .

أشار الرجل بيده ، وهو يجيب :

ـ لقد وصل بطائرة خاصة ، منذ نصف الساعة فحسب ، واتجه مباشرة إلى مكتبه ، وهو يراجع كل الأوراق منذ ذلك الوقت ، ويقولون إنه يستعد لإجراء تحقيق ضخم ، حول مصرع (أيكون) .

مطَّ (إيتان) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ من الواضح أن الأمريكيين لايضيعون لحظة واحدة .

ثم نهض ، مستطردًا :

ـ ولكن أصول اللياقة تحتم ذهابى لتحيته فورًا .

غمغم الرجل :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

سأله (إيتان) ، وهو يرتدى سترته :

ـ هل عرفت من هو ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ جنرال شاب ، يدعى (أرنست) .. (سام أرنست) .

انعقد حاجبا (إيتان) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ (أرنست) .. الاسم يبدو لى مألوفًا .

وافقه الرجل بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ إنه رجل مخابرات عسكرية .

ارتفع حاجبا (إيتان) ، وهو يقول :

ـ آه .. لقد تذكرته .

لم يكن مخطئاً فيما توصل إليه ، فلم يكد يدلف إلى حجرة الجنرال الجديد ، حتى استقبله هذا الأخير بابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ (كوهين) .. (إيتان كوهين) .. كيف يمكن أن أنساك يا رجل .. لقد اصطدمنا معًا ، عندما أوقعت بجاسوسكم الإسرائيلى ، فى صفوف قواتنا الجوية .

حاول (إيتان) أن يبتسم ، وهو يمد يده إليه ، قائلاً :

ـ لم يكن جاسوسًا ياجنرال .. مجرد يهودى متحمس !

قال (سام) ساخرًا :

ـ حقًا ؟!

ثم تراجع فى مقعده ، متجاهلاً اليد الممدودة إليه ، وهو يقول مستطردًا :

ـ السؤال الآن هو : لماذا شرفتنى بزيارتك ، بهذه السرعة ؟!

تراجع (إيتان) فى مقعده بدوره ، قائلاً :

ـ أصول اللياقة كانت تقتضى هذا .

أطلق (سام) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

ـ اللياقة ؟! أنت ؟! عجبًا !

اعتدل (إيتان) فى مقعده ، قائلاً فى غضب :

ـ أسلوبك هذا لا يليق بجنرال .

هزّ (سام) كتفيه ، قائلاً :

ـ ولكن يبدو أنه يروق لقيادتى ، وإلا ما أصبحت جنرالاً ، ولم أتجاوز منتصف الأربعينيات بعد .

قال (إيتان) فى تحد :

ـ قيادتك نفسها ، هى التى ستطالبك بالتعاون معى ، ومنحى كل ما أريد ، و ...

قاطعه (سام) فى صرامة :

ـ ليس كل ما تريد .

انعقد حاجبا (إيتان) فى توتر ، وحدّق فى الجـنرال ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

هبّ (سام) من مقعده ، واتجه إلى باب الحجرة ، وهو يجيب فى حزم :

ـ أعنى أنه مهما قالت القيادة ، فلن تحصل على أية مكاسب ، من تواجدكم القذر هنا .

ازداد انعقاد حاجبى (إيتان) ، وتحسس موضع المسدس السيراميكى ، المخفى فى حزامه ، فى توتر شديد ، وهو يراقب (سام) فى حذر ، قائلاً :

ـ أسلوبك هذا ستحاسب عليه ، من قبل قيادتك .

أربكه أن أغلق (سام) رتاج الباب بقوة من الداخل ، وهو يقول فى سخرية واضحة :

ـ لست أظن هذا .

نهض (إيتان) بحركة عصبية ، وسحب مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل بالضبط ؟!

أجابه (سام) ، بنفس السخرية :

ـ أنوى الانفراد بك أيها الوغد .

تراجع (إيتان) بحركة حادة ، قائلاً :

ـ إياك أن تقترب منى .

كان يلوّح بمسدسه ، فى وجه (سام) ، الذى واصل الاقتراب منه ، فى ثبات مدهش ، وهو يقول :

ـ هل ستطلق النار على جنرال أمريكى ؟! لست أظن هذا يتناسب مع خططكم المستقبلية القذرة .. ثم إنه سيكون أمرًا يصعب تبريره ، أو نسبته إلى الآخرين ، مثلما فعلتم مع (أيكون) .

قال (إيتان) ، وهو يتراجع فى عصبية :

ـ إننا لم نفعل شيئًا بـ (أيكون) .

قال (سام) ساخرًا ، وهو يواصل الاقتراب ، فى ثقة ولا مبالاة :

- حقًا ! ما قولك إذن أن أقمارنا الصناعية قد رصدت أحد رجالك ، وهو يطلق صاروخًا نحو الهليوكوبتر ، التي كان يركبها (أيكون) .

قال (إيتان) في حدة :

- لم يكن هذا (أيكون) .. كان بديلاً ينتحل شخصيته ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما وثب (سام) وثبة مفاجئة مرنة ، ركل خلالها المسدس من يده ، ثم التقطه في الهواء ، وصوّبه إليه بنفس الابتسامة الساخرة ، وهو يقول :

- إذن فقد كنت تعلم .

حدّق فيه (إيتان) بكل ذعر الدنيا ، وتعلّق بصره بعينيه ، وهو يقول بصوت مختنق :

- من أنت ؟!

ارتفع حاجبا الرجل أمامه ، وابتسم في سخرية ، مجيبًا :

- عجبًا .. ألا تذكرني أيها الوغد .. أنا (أرنست) .

هتف (إيتان) :

- كلا .. لست (سام أرنست) .

اتسعت ابتسامة الرجل الساخرة ، وهو يقول :

- ولكنني أشبهه كثيرًا .. أليس كذلك ؟!

انتفضت كل ذرة ، في جسد (إيتان) ، وتراجع حتى التصق بالجدار ، وهو يقول مذعورًا :

- ولكنك لست هو .

كان الواقف أمامه ممشوق القوام ، أشقر الشعر ، قصيره ، طويل القامة ، أزرق العينين .

كان نسخة طبق الأصل من (سام أرنست) ..

ولكنه لم يكن هو ..

وفي ذعر ، هتف (إيتان) :

- إنك هو .

ارتفع حاجبا الرجل ، في دهشة ساخرة ، وهو يقول :

- عجبًا ؟! هل تعجز عن اتخاذ قراراتك إلى هذا الحد أيها الحقير ؟! أأنا هو ، أم لست هو ؟!

هتف (إيثان) :

- أنت (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وهنا ، تلاشت الابتسامة الساخرة ، من شفتى الرجل ، وتغيَّر صوته دفعة واحدة ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

- صدقت أيها الوغد .

مع قوله ، شعر (إيثان) بالدماء تتجمَّد فى عروقه ، وهو يتمتم بمنتهى الصعوبة ، وبصوت شديد الخفوت :

- مستحيل !

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى صرامة :

- لا يوجد مستحيل ، مادمت تتعامل مع الأمر بدقة ، مستعينًا بالمعلومات الكافية .. فبوساطة معرفة الكود السرى للاتصالات العسكرية الأمريكية ، أقنعنا الأوغاد أن الجنرال (سام أرنست) سيحل محل (جون

أيكون) ، ولأننى وصلت فى طائرة خاصة ، تصور الأغبياء أننى قادم من الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة ، وكان من الطبيعى أن يبلغك الخبر ، وأن تتذكَّر مواجهتك القديمة مع (سام أرنست) ، وهذه معلومة حصلنا عليها من ملفك ، ولم نشك لحظة ، فى أنك ستأتى لتحيته ، فى محاولة لجذبه إلى صفك ، كوسيلة لتحقيق ماربكم الحقيرة هنا .

ارتجف (إيثان) مرة أخرى ، وهو يقول :

- ماذا ستفعل بى ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- الآن ، وفى هذه اللحظة بالتحديد ، يقوم رجال المقاومة الأصليون بمهاجمة رجالك ، ولأسرهم ، وستتم محاكمتهم ، باعتبارهم جواسيس ، حاولوا استغلال الاحتلال الأمريكى ، لفرض هيمنتهم على جزء من أرض (العراق) .

امتقع وجه (إيثان) بشدة ، وهو يردِّد بمنتهى الرعب :

- محاكمتهم .

قال (أدهم) ، فى برود مخيف :

ـ اطمئن .. ستكون محاكمة عادلة للغاية .

ثم مال نحوه ، مضيفًا بلهجة جمدت الدماء فى عروق الإسرائيلى :

ـ ورسالة إلى دولتك ، حتى تبعد أنفها المعقوف عما لا يخصها .

ارتجفت كل ذرة فى كيان (إيتان) ، وهو يسأله :

ـ ولماذا على ؟! إنك لن تقتلنى .. أليس كذلك ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال بمنتهى القسوة :

ـ (أيكون) نال ما استحقه ، جزاء قتله الآمنين والمدنيين ، وإراقة الدماء العربية بغير حق ، ودون رحمة أو شفقة .. نال ثمن قتل النساء والأطفال والشيوخ .

لوّح (إيتان) بيده ، قائلاً فى رعب :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. لست أملك حتى سلطة القيام بهذا .

بدا له صمت (أدهم) مخيفًا رهيبًا هذه المرة ، وهو يتطلع إليه بعينين باردتين غاضبتين ، فلوّح بيده مرة أخرى ، قائلاً فى ضراعة :

ـ ثم إنك رجل مخابرات مثلى ، وتعلم أننا نؤدى واجبنا من أجل دولتنا ، وأن ...

قاطعه (أدهم) ، بصوت أقسى من الفولاذ :

ـ وهل يتضمن عملنا دس معلومات خاطئة ، ودفع الآخرين عبرها ، إلى القيام بعمليات عنيفة ، وشن مذابح وحشية ؟!

بدا وجه (إيتان) أشبه بالموتى ، عندما أدرك أن (أدهم) قد كشف لعبته ، وخرج صوته منهاراً ، وهو يقول :

ـ كل الطرق مشروعة فى الحروب .

شد (أدهم) قامته ، قائلاً فى غضب :

ـ حتى القتل ؟!

لم يحر (إيتان) جوابًا ، وقد ارتجفت كل ذرة من كيانه ، وتعلقت عيناه بفوهة المسدس ، الذى انتزعه منه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إنك لا تقتل العزّل .. منطقك يؤكد أنك لم تفعلها قط .

بدا (أدهم) قويًا شامخًا ، وهو يقول :

ـ فارق كبير بين القتل ، و ...

صمت لحظة ؛ ليجذب إبرة المسدس السيراميكي ، الذى يحوى رصاصة واحدة ، قبل أن يضيف بمنتهى الصرامة :

ـ وحكم الإعدام .

انتفض جسد (إيتان) بمنتهى العنف ، وهو يلوّح بذراعيه ، صارخا فى رعب :

ـ لا .. لا .. إنك لن تفعلها .. ليس هذا من شيمتك .

مع هتافه ، استعاد ذهن (أدهم) عشرات الصور والمشاهد ..

الأطفال الصرعى ..

النساء الملتاعات ..

الشيوخ القتلى ..

الدماء ..

النيران ..

الدمـار ..

ثم ترددت فى رأسه صرخات رهيبة ، منتزعة من أعمق أعماق ذاكرته ..

صرخات المصابين ..

والمكلومين ..

والثكالى ..

وضغط زناد المسدس الصغير ..

وانطلقت الرصاصة ..

وجحظت عينا (إيتان) عن آخرهما ..

وضربت يداه الهواء ..

وتفجّرت الدماء من ثقب دقيق ، فى منتصف جمجمته ..

ثم هوى ..

ومع سقوطه جثة هامدة ، اقتحم أفراد طاقم الأمن الباب ، استجابة لدوى الرصاصة ، ولكن (أدهم) استدار إليهم فى صرامة ، واستعاد شخصية (سام أرنست) فى لحظة واحدة ، وهو يقول :

ـ هذا الوغد حاول قتلى .

نقل الجنود أبصارهم ، بينه وبين جثة رجل المخابرات الإسرائيلى ، فى حين ألقى هو المسدس على مقعد بعيد ، وهو يضيف بنفس الصرامة :

ـ أخرجوه من هنا ، وأبلغوا المطار أننى سأستقل طائرة خاصة إلى (قبرص) فورًا ؛ لحضور اجتماع سرى للقادة هناك .. هيا .

أطاع جنود الأمن أوامره فى سرعة ، فى حين وقف هو قويًا شامخًا ، على الرغم من أن أعماقه كانت تواجه صراعًا رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد ..

* * *

توقفت سيارة مصفحة فاخرة ، أمام أكبر فنادق (بوجوتا) ، وأكثرها فخامة ، ومطَّ (لاماس) شفتيه داخلها فى ازدراء ، وهو يداعب مسدسًا ضخمًا بين أصابعه ، قائلاً لعشيقته (لوتشيا) :

ـ لاتروق لى هيئتك أبدًا ، فى هذا الزى .

كانت ترتدى ثوبًا باهظ الثمن ، مزيَّن بقطع من الماس النقى ، فهزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ ربما لاتروق لى أيضًا ، ولكننا هنا فى العاصمة ، وكما يقولون : إذا كنت فى (روما) ، فافعل ما يفعله الرومان .

مطَّ شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ لو أننى فى موضعهم ، لسافرت إلى (روما) ، ولأجبرتهم على أن يفعلوا ما أفعله أنا .

ابتسمت ، وهى تتطلَّع إلى القميص الفضفاض ، زاهى الألوان ، الذى انفتح أعلاه أمام صدره القوى ، وقالت :

ـ ولكنك تبدو وسيمًا فى كل الأحوال .

بدا عليه الزهو ، وهو يغمغم :

ـ أعلم هذا .

مع قوله ، أشار السائق بيده ، وهو يقول فى خشونة :

- لقد وصل .

أدار (لاماس) عينيه ، عبر زجاج السيارة المصفح ، إلى كهل أنيق ، يحمل حقيبة دبلوماسية غالية ، ويتجه نحو السيارة مباشرة ..

وبنظرة شك واضحة ، ازداد ضيق عيني إمبراطور المخدرات الكولومبي ، وهو يتابع الرجل ، الذي توقف أمام الباب الخلفي للسيارة الكبيرة ، فقال (لاماس) في صرامة :

- دعه يدخل .

ضغط السائق زرًا ، فانفتح باب السيارة ، وانحنى الكهل في احترام مبالغ ، قائلاً :

- مرحبًا سنيور (لامـاس) .. يشرفني أن أقدم وافر تحياتي ، و ...

قاطعه (لاماس) في خشونة :

- كف عن هذه السخافات ، وادخل بسرعة يا رجل ؛ فلست أشعر بالارتياح ، عندما يكون الطريق إليّ مكشوفًا ، في منطقة خالية .

دلف الكهل بسرعة إلى السيارة ، وجلس على المقعد المواجه للكولومبي ، الذي أشار إلى السائق ، فأغلق باب السيارة بضغطة زر أخرى ، وما إن تم إغلاقه ، حتى قال (لاماس) في خشونة :

- انطلق بنا في دورة عشوائية يا رجل .. هذا أكثر أمنًا .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، وقال الكهل ، محاولاً الابتسام :

- من الواضح أنك شديد الحذر يا سنيور (لاماس) .

قال (لاماس) في خشونة :

- أمثالي لايظلون على قيد الحياة ، إلا لأنهم شديدو الحذر يا هذا .

أومأ الكهل برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد يا سنيور .

رمقه (لاماس) بنظرة قاسية ، في حين أشارت (لونشيا) إلى الحقيبة ، التي يحملها الكهل ، قائلة :

- بمناسبة الحذر الزائد .. لو أنّ هذه الحقيبة تحوى أجهزة تنصُّت ، فالأفضل أن تتخلص منها ، قبل أن نتخلص نحن منك .

لم يبد أنّ تهديدها قد أثار الخوف فى نفس الكهل ؛ إذ ظلّ هادئًا ، وهو يجيبها :

- هذه الحقيبة فى الواقع هى جهاز اتصال خاص قوى ، مرتبط بالأقمار الصناعية مباشرة .

اعتدل (لاماس) ، وقبضت أصابعه على مسدسه الضخم فى توتر ، وهو يقول :

- جهاز اتصال ؟!

أومأ الكهل برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ياسنيور (لاماس) ، فالرئيس يريد أن يتحدث إليك شخصيًا .

بدا الاهتمام على وجه (لاماس) ، وهو يسأله :

- الرئيس الأمريكى ؟!

أدار الكهل الحقيبة نحوه ، قائلاً :

- هو نفسه ياسنيور .

انتفخت أوداج (لاماس) فى زهو ، والتفت بزهوه إلى (لونتشيا) ، التى أسرعت تعدّل ثوبها الفاخر ، فى حين ضغط الكهل الأزرار بسرعة ، قائلاً :

- فخامة الرئيس ياسنيور (لاماس) .

رفع (لاماس) يده ، يتحسّس شعره بحركة غريزية ، وهو يعتدل فى مجلسه أكثر ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها صورة الرئيس الأمريكى على الشاشة ، وهو يقول :

- مرحبًا ياسنيور (لاماس) .

أجابه (لاماس) فى سرعة :

- مرحبًا أيها الرئيس .

نطقها بأسلوب فظ ، ولهجة غليظة ، إلا أن الرئيس تجاوز هذا ، وهو يقول :

- أبلغونى أنك تحتفظ ببعض جنودنا لديك .

أجابه (لاماس) فى صرامة ، وقد استعاد خشونته الغريزية :

ـ خطأ أيها الرئيس .. لم أعد أحتفظ بهم ، ولست أظن حتى تماسيحى مازالت تحمل بقاياهم فى أحشائها .

ظهر الامتعاض على وجه الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

ـ تصرُّف بغيض يا رجل .

أجابه (لاماس) متحديًا :

ـ أنتم بدأتم هذا .

بدا من الواضح أن الرئيس يسيطر على أعصابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ فليكن .. لسنا هنا لمناقشة من بدأ ، ومن يستحق العقاب .

تساءلت (لوتشيا) ، فى شىء من السخرية :

ـ لماذا نحن هنا إذن ؟!

صمت الرئيس الأمريكى لحظة ، للتحكم فى مشاعره ، التى تطالبه بإنهاء الاتصال فورًا ، ثم لم يلبث أن أجاب :

ـ نحن هنا ؛ لنناقش الخطوة التالية .

تساءلت (لوتشيا) ، فى سرعة :

ـ وما هى ؟!

أشار الرئيس بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا يتوقف على إجابة سؤال محدود .

مطَّ (لاماس) شفتيه ، قائلاً فى خشونة :

ـ سأجيبه إن راق لى .

مرة أخرى ، سيطر الرئيس الأمريكى على أعصابه فى صعوبة ، وهو يسأله :

ـ ماذا فعلتم بالأسرى الأربعة لديكم ، عندما شن جنودنا هجومهم عليكم ؟!

انعقد حاجبا (لاماس) ، والتفت إلى (لوتشيا) ، التى رفعت أحد حاجبيها ، بنظرة متحدية ، ليس لها ما يبررها ، قبل أن تجيب :

ـ لو طاوعت مشاعرى ، لقتلتهم بلا رحمة .

سألها الرئيس ، فى اهتمام شديد :

ـ أيعنى هذا أنك لم تفعلى !

رفعت أحد حاجبيها ، فى حركة عابثة ، قبل أن تسأله فى شغف :

ـ لو افترضنا هذا ، فكم تدفعون ثمنًا لهم ؟!

انعقد حاجبا الرئيس ، وتراجع فى مقعده بعصبية واضحة ، وهو يقول :

ـ ليس فى خطتنا دفع أية نقود ، لاسترداد الأسرى .. إنهم ليسوا حتى من مواطنينا .

هزّت (لوتشيا) كتفيها فى سخرية ، قائلة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد ضحيتم بفرقة كاملة ؛ من أجل استعادتهم .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس الأمريكى ، وعضّ شفتيه فى غضب ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ وماذا لو عقدنا صفقة أفضل ؟!

سأله (لاماس) هذه المرة ، بخشونته المعهودة :

ـ أية صفقة ؟!

قال الرئيس ، فى صرامة أكثر :

ـ سنرخى قبضتنا حول رجالك هنا ، ونفرج عن بعض المسجونين ، و ...

قاطعه (لاماس) ، فى غلظة :

ـ ولماذا تقدمون مثل هذا العرض السخى ، مقابل أربعة أسرى ، ليسوا من مواطنيكم كما تقولون ؟!

زفر الرئيس فى عصبية ، قائلاً :

ـ لدينا أسبابنا .

همّ (لاماس) بقول شىء ما ، إلا أن (لوتشيا) ، ضغطت يده خفية ، وهى تقول فى حزم :

نحن أيضًا لدينا أسبابنا ، التى تدفعنا للتفكير مليًا ، قبل أن نعلن رأينا ، بشأن صفقتكم .

بدا الغضب على وجه الرئيس الأمريكى ، وأدار عينيه بعيدًا عن الشاشة ، وكأنما يطلب مشورة شخص آخر فى حجرته ، قبل أن يسأله فى توتر :

- وكم تحتاجون من وقت ؟!

أجابته (لوتشيا) أيضًا فى سرعة :

- ما يكفى .

عضّ الرئيس شفتيه مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- فليكن .. احتفظوا بحقيبة الاتصالات ، كهدية من الحكومة الأمريكية ، فربما ترغبون فى مخاطبتنا عبرها قريبًا .

جذب (لاماس) الحقيبة إليه ، وهو يقول فى خشونة :

- فليكن .

ثم ضغط زر إنهاء الاتصال ، وهو يقول للكهل فى صرامة :

- نهاية طريقك يا هذا .

أوقف السائق السيارة ، وغادرها الكهل فى سرعة وهدوء ، ثم عادت تنطلق ، و (لاماس) يسأل (لوتشيا) فى قلق :

- ما رأيك ؟!

أجابته فى نشوة عجيبة :

- رأيى أننا بصدد عقد أفضل صفقة فى حياتنا .. أفضلها على الإطلاق .

ثم أطلقت ضحكة عابثة ، قبل أن تضيف :

- ودون أن نقدم شيئًا فى المقابل .

قالتها ، وعادت تضحك ضحكة عالية عابثة مطوطة ، فى حين عقد (لاماس) حاجبيه فى شدة ..

فقولها كان يعنى الكثير ..

والكثير جدًّا .

* * *

٤ ـ الرجـــل ..

النيران تلتهم كل شيء ..

الدخان ينتشر ..

وينتشر ..

وينتشر ..

وامرأة تظهر من بين سحب الدخان ..

وتنحنى نحوه ..

«سأنقذك يا (أدهم) .. » ...

اخترقت العبارة أذنيه وعقله ، بصوت مألوف ..

صوت يعرفه ..

ويحفظه عن ظهر قلب ..

صوت أعاد إليه ذكريات عديدة ..

وبعيدة ..

ومع الغيبوبة العنيفة ، التى تهاجم عقله بلا رحمة ..

ولسبب يجهله ..

وجد نفسه يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

ولكنها حملته ..

ووضعته فوق عربة صغيرة ..

ثم انطلقت به ..

انطلقت عبر ممرات طويلة ..

وعبر النيران ..

والدخان ..

والدمار ..

وكل هذا بدا له أشبه بحلم ..

أو بكابوس ..

«لست أدرى حتى لماذا أفعل هذا !! » ...

مرة أخرى بدا له صوتها مألوفًا ..

معروفًا ..

واضحًا ..

ومرة أخرى ، تفجرت فى كيانه كله موجة من الذكريات .

والانفعالات ..

والعذابات ..

واسترجع عقله ، فى تلك اللحظات الرهيبة مشهد رفاقه ..

والانفجـــار ..

وصرخات الزعيمة ..

وصورة ابنه (آدم) ..

و ...

«كان ينبغى أن أقتلك ، جزاء ما فعلت .. » ...

استوعب عبارتها بالكاد ، وهو غارق فى تلك الحالـــة العجيبة ، بين اليقظة والغيبوبة ..

«ولكن مشكلتى أننى أحبك .. » ...

لم يفهم العبارة ..

ولم يحاول حتى أن يفهمها ..

فقط ترك جسده يسترخى ، داخل تلك الغوّاصة الصغيرة ، التى راحت تغوص فى المحيط ..

وتغوص ..

وتغوص ..

ثم انطلقت ..

وهنا بدأ عقله ينهار ..

وينهار ..

وينهار ..

آخر ما شعر به هو شفتيها ، وهما تطبعان قبلة على جبينه ..

وبعدها انتهى كل شىء ..

«سنيور (خوزيه) .. لقد وصلنا تقريبًا .. » ...

استيقظ (أدهم) دفعة واحدة ، مع العبارة ، التى انتزعته من حلم الذكريات المبهمة ، فاعتدل فى سرعة ، وقال بإسبانية سليمة :

- حقًا .. لم أشعر بمرور الوقت .

ابتسمت مضيفة الطائرة ، وهى تربّت على كتفه ، قائلة :

- من الواضح أنك كنت مجهدًا للغاية ، فأنت غارق فى النوم ، طوال الرحلة تقريبًا .

حاول (أدهم) أن يبتسم ، وهو يتمتم :

- هذا صحيح .

منحته المضيفة ابتسامة مجاملة ، ثم انصرفت لتؤدى عملها ، مع باقى الركاب ، فى حين راجع هو ما فعله ، منذ غادر ساحة المعركة فى (العراق) ..

لقد استقل طائرة عسكرية أمريكية ، باعتباره الجنرال (سام أرنست) ، وهبط بها فى (الكويت) ، حيث تحوّل إلى الأرجنتينى (خوزيه ماركوس) ، بوساطة جواز سفر قديم ، أبدعته أصابع (قدرى) الذهبية منذ زمن طويل ..

وعلى أول طائرة ، سافر (خوزيه) إلى (أمريكا الجنوبية) ..

إلى الدولة المدوّنة فى جواز سفره ..

(الأرجنتين) ..

ومن نافذة الطائرة المجاورة ، تابع هبوط الطائرة ، فى مطار (بوينس أيريس) ، حيث سيستقل طائرة أخرى ، تحمله إلى (بوجوتا) فى (كولومبيا) ..

ومع الغصة التى يشعر بها فى حلقه ، أغلق عينيه ..

واستعاد كلمات والده القديمة ..

« لا تقتل أبدًا .. إلا بالحق .. »

« القتل أبغض شىء فى الوجود ، فاحرص على تجنبه قدر الإمكان .. »

« الدفاع عن النفس ، أو تنفيذ القصاص العادل ، هما السببان الوحيدان للقتل ، بالنسبة لأى شخص سوى .. »

لقد تعلم هذا منذ طفولته ..

وحفظه عن ظهر قلب ..

وحرص عليه كل الحرص ..

حتى فى أشد لحظاته عنفاً وقسوة ، لم يقتل ..

لم يطلق رصاصة قاتلة ، إلا فيما ندر ..

وللدفاع عن حياته فحسب ..

أما فى الآونة الأخيرة ، فقد أعماه الغضب ، ودفعه إلى أبغض شىء فى الوجود .. إلى القتل ..

رصاصاته انطلقت لأوّل مرة ، لتعدم وتقتل ..

ودون دفاع عن النفس ..

قتل لأنه غضب مما أصاب الأطفال ..

والنساء ..

والشيوخ ..

والمرضى ..

والضعفاء ..

قتل لينتقم ..

وهذا أسوأ فعل فى الحياة ..

الانتقام الأعمى ..

أغلق عينيه فى قوة ، محاولاً محو تلك الصورة الرهيبة من ذهنه ..

وبزفرة حارة ملتهبة ، تمتم :

ـ أرنت القصاص فحسب .

« أية لغة هذه ، التى تحدثت بها ؟! » ...

ألقى عليه جاره السؤال فى دهشة ، فانتبه إلى أنه قد نطق عبارته بالعربية ، إلا أنه تماسك فى سرعة ، واستدار إليه مبتسماً ، وهو يقول :

ـ الصينية .. لقد قضيت بعض الوقت فى (شنغهاى) ، وتعلمتها هناك ، إلى حد ما .

بدا الرجل أكثر دهشة ، وهو يقول :

ـ الصينية ؟! عجبًا !! لم تبد لى كذلك أبدًا !

سأله (أدهم) بنفس الابتسامة :

ـ كيف بدت لك إذن ؟!

أجاب الرجل فى سرعة :

ـ شرقية .

ثم استدرك فى حذر :

ـ ربما عربية أو .. أو عبرية .

منحه (أدهم) ابتسامة هائلة ، دون أن يجيب ، وإن انطلقت صرخة قوية فى أعماقه ..

« أخطأت يا (أدهم) .. »

« زلة لسان ، يمكن أن تفسد لعبتك كلها .. »

« خطأ واحد ، يكفى لإشعال ألف ألف مشكلة .. » ...

« وهذا لم يكن يحدث من قبل .. »

« أبدًا .. »

ومع هبوط الطائرة ، كان عقله يصدر قرارًا هامًا للغاية .

لا بد من تفادى أية أخطاء مستقبلية ..

وبأى ثمن ..

* * *

« الخطة أثمرت ما نبتغيه .. »

نطق مدير المخابرات المركزية العبارة فى حزم ، وهو يقف أمام الرئيس الأمريكى ، ووزير دفاعه ، فسأله الأخير بكل الاهتمام :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا :

ـ فى عالمنا ، لا مجال للتخمين أو الاعتقادات .. إننا نتعامل مع الحقائق وحدها .

سأله الرئيس فى صرامة :

ـ وماذا تقول الحقائق ؟!

شد مدير المخابرات قامته ، قائلاً :

ـ جهاز الاتصالات ، الذى تم إهداؤه إلى (لامـاس) ، يبث إشارة منتظمة ، تمكننا من تحديد موقعه بمنتهى الدقة طوال الوقت .

تساءل الرئيس فى اهتمام :

ـ ولكننا نعرف موقعه بالفعل .

مال مدير المخابرات نحوه ، قائلاً :

ـ ولكن ليس بالدقة التي تتيح لصاروخ موجّه ، أن ينسفه مباشرة ، وهو يختبئ وسط الأحراش .

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكي ، ووزير دفاعه يتساءل :

ـ وهل تعتقد أنه سيحمل الحقيبة بنفسه طوال الوقت ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ لقد راعينا العامل النفسي ، في هذا الشأن ؛ فالجهاز من طراز غير متوافر للعامة ، ومحفور عليه ما يثبت انتماءه إلى الحكومة الأمريكية ، وطبيعة (لاماس) المتباهية ، ستجعله قريبًا منه طوال الوقت ؛ ليعلن لكل من يتعامل معه أن له صلات قوية بنا ، وأنه الرجل القوي ، الذي لا يدانيه أحد .

تبادل الرئيس ووزير دفاعه نظرة صامتة ، قبل أن يقول الأخير في توتر ملحوظ :

ـ وبم يفيدنا قتله في الوقت الحالي ؟! إننا نحتاج إلى ما لديه أولاً .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ هذا ما نسعى إليه بالدرجة الأولى ، ولكن ماذا لو فشلنا ؟!

قال الرئيس في عصبية :

ـ سيكون علينا أن نبرّر هذا لمستر (X) .

رمقه وزير الدفاع بنظرة ضيق ، قبل أن يلتفت إلى مدير المخابرات ، متسائلاً :

ـ وماذا لو حدث هذا ؟!

هزّ الرجل كتفيه ، مجيبًا :

ـ سيكون علينا ، في هذه الحالة ، أن نتخلّص من (لاماس) ، ورجاله ، والأسرى ، وكل ما يمت له بصلة .

اعتدل الرئيس الأمريكي ، وهو يقول في حدة :

ـ إذن فقد عدنا مرة أخرى إلى خانة التمنيات والافتراضات .

هزّ الرجل رأسه هذه المرة ، قائلاً :

ـ مطلقًا .. الجهاز ليس وسيلة لتحديد الموقع بدقة فحسب ، ولكنه جهاز تنصت دقيق ، في الوقت ذاته ،

فعندما دار الحديث المباشر بين فخامة الرئيس ، و (لاماس) هذا ، تمت برمجة الجهاز ، عبر الأقمار الصناعية ، على تعرف صوته وتعقبه ، وبهذا ، سيتحول الجهاز إلى آلة تنصت رقمية قوية ، تتعقب صوت (لاماس) وأحاديثه ، أينما كان ، في دائرة نصف قطرها ميل كامل .

ثم تسلل الزهو إلى صوته ، وهو يضيف :

ـ باختصار .. أصبحنا نجلس طوال الوقت ، على مقعد مجاور له ، دون أن يرانا .

كان يتوقع تصفيقاً واستحساناً ، من الرئيس والوزير ، إلا أن الأخير عقد حاجبيه في توتر ، في حين تراجع الأول بمقعده ، متسائلاً بكل قلق الدنيا :

ـ أهذه التكنولوجيا ممكنة ؟!

أجاب مدير المخابرات في حيرة :

ـ بالطبع يا سيادة الرئيس .. إنها متاحة منذ ..

قاطعه الرئيس في توتر بالغ :

ـ هكذا يلتقطون أحاديثنا إذن .

ثم التفت إلى وزير الدفاع ، مستطرداً في عصبية شديدة :

ـ أريد فحص كل الأجهزة الإليكترونية في هذه الحجرة فوراً .

فغر مدير المخابرات فاه ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس .. لاداعي للمبالغة .. من المستحيل أن ..

قاطعه فجأة رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه من جيبه بحركة سريعة ، وانعقد حاجباه ، عندما لم تحمل الشاشة رقم المتصل ، إلا أنه ضغط زر الاتصال ، متسائلاً :

ـ من هناك .

أتاه صوت أنثوى عابث ساخر ، يجيب :

ـ ليس مستحيلاً يا مدير المخابرات .. في هذا العصر ، كل شيء ممكن .

أعقب القول ضحكة طويلة ساخرة ..

ضحكة امتقع لها وجه مدير المخابرات الأمريكي ..

فقد كانت تعنى أن الخطر قد عاد ..

وبمنتهى القوة ..

* * *

«لقد تم إنقاذها بأعجوبة .. » ....

نطق الطبيب الخاص لمستر (X) العبارة ، فى إرهاق واضح ، وهو يواجه شاشة الاتصال الكبيرة ، التى تبدو عليها صورة هذا الأخير ، الذى قال فى لهجة صارمــة ، تخفى مايشعر به من توتر :

ـ أتعنى أنها ستنجو ؟!

أجابه الطبيب ، وهو يمسح العرق الذى يغمر وجهه :

ـ بالكاد .

قال مستر (X) بمنتهى الصرامة :

ـ ابذلوا جهدًا أكبر .. أريدها أن تنجـو بأى ثمن .. لايمكن أن نجازف بفقدها ، فى مثل هذه الظروف .

تنهّد الطبيب فى توتر ، مغمغمًا :

ـ سنبذل قصارى جهدنا يا سيدى .

قال مستر (X) فى خشونة :

ـ هذا أفضل لكم جميعًا .

ثم أنهى الاتصال ، قبل أن تغلبه انفعالاته ، وتراجع فى مقعده الكبير ، وكل ذرة فى كيانه تشعر بتوتر بلا حدود ..

الزعيمة مازالت على قيد الحياة ..

غامضة ..

قوية ..

شرسة ..

وغاضبة ..

هذا آخر ما عرفه من الصينية (تيـا) ، قبل أن تقدم على الانتحار ..

وما دامت لم تعلن عن نفسها ، فهذا يعنى أنها تعد العدة للعودة ..

والانتقام ..

ولقد أرسلت إليه (تيا)..

أرسلتها لتفاوضه ، بشأن رفاق (أدهم)..

وهو لايدرى لماذا فعلت هذا!

لماذا؟!

لماذا؟!

مايثير غيظه وتوتره البالغ ، هو أنه يجهل أين هى؟!

وماذا تفعل؟!

وما الذى تعده؟!

وهذا خطير..

خطير إلى أقصى حد..

والسبيل الوحيد ، لإمساك طرف الخيط ، أى خيط ، هو (تيا)..

والمعلومات التى تحملها (تيا)..

لذا فمن الضرورى أن تبقى الصينية على قيد الحياة..

وأن تدلى بما لديها..

وبكل التفاصيل..

لابد وأن تبقى..

وبأى ثمن..

إنه لن يحتمل هجوماً مباغتاً آخر ، من تلك الغامضة..

لن يحتمل هذا أبداً..

لابد من رفع درجات الاستعداد إلى الحد الأقصى..

بل إلى ما يفوق هذا..

ولابد أن...

قاطعه فجأة أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فاعتدل فى سرعة ، وضغط الزر ، وهو يتطلع إلى الشاشة ، التى ظهرت عليها صورة مدير المخابرات الأمريكية ، الذى قال فى عصبية :

- مستر (X).. لقد علمت .

وانتفض جسد مستر (X) بمنتهى العنف..

فلقد بدأت المعركة ..

بأقصى وأقسى سرعة ..

* * *

انطلقت ضحكة مجلجلة غليظة ، داخل ذلك البار الكبير ، فى قلب (بوجوتا) ، وارتفع معها صوت رجل ضخم ، مفتول العضلات ، يهتف بصوت جهورى خشن :

ـ المزيد يا رجل .. المزيد .. هات أفضل ما لديك من خمر .. لا أريد الأنواع الرخيصة ، بل أفضلها على الإطلاق .. هيا .. أعطنى ما يليق بى .

قالها ، وألقى رزمة من النقد الأمريكى فوق البار ، فحدق فيها الساقى فى شراهة شديدة ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سنيور .. كما تأمر .

أسرع يلملم النقود فى لهفة ، ثم انطلق لإحضار ما طلبه الضخم ، الذى عاد يطلق ضحكة مجلجلة أخرى ، ويثير قدرًا هائلاً من الصخب ، فى المكان كله .. ثم دخل ذلك الرجل ..

رجل ممشوق القوام ، طويل القامة ، قوى الملامح ، صارم النظرات ، عبر المكان فى هدوء ، حتى قرب من الضخم ، قبل أن يقول فى صرامة قاسية :

ـ اخفض صوتك يا هذا ، فلا أحد يحتمل صوتك القبيح ، ولا ضحكاتك الفجة .

توقف الضخم دفعة واحدة ، واستدار إلى القادم الجديد فى غضب ، وتحركت يده نحو المسدس الكبير ، المعلق فى حزامه ، وهو يقول فى شراسة غليظة :

ـ هل توجه كلماتك الحمقاء إلىّ ؟!

أجابه الرجل فى هدوء شديد ، وكأنه لا يقيم وزنًا لضخامته وشراسته وحدته :

ـ هل ترى أحمق غيرك هنا ؟!

عبارته هذه فجرت قنبلة من الصمت فى المكان ، مع تيار من القلق والخوف ، سرى فى نفوس الجميع ، الذين حدقوا فى الاثنين فى رعب ، والضخم يطلق زمجرة مخيفة ، هاتفًا :

ـ من الواضح أنك تجهل من أنا أيها التعس .

رمقه الرجل بنظرة لامبالية ، وهو يقول :

ـ بل أعرفك جيدًا أيها الوغد .. أنت (أركنز) .. عضو عصابة (لاماس) ، والمسئول عن مقتل دستة من رجال الشرطة هنا ، خلال السنوات الثلاث الأخيرة .

سحب (أركنز) مسدسه فى غضب وحشى ، وهو يهتف :

ـ عظيم .. ما دمنا تعارفنا ، اسمح لى بتقديم بطاقتى ، فى رأسك مباشرة ، و ...

وقبل أن يتم عبارته ، تحرك الرجل ..

لم يدر أحد متى ولا كيف تحرك ، ولكنهم وجدوه فجأة يلكم (أركنز) لكمة كالقنبلة فى أنفه ، وثانية فى أسنانه ، وثالثة فى معدته ، قبل أن يثب ، ويدور حول نفسه ، ويركل المسدس من يده ..

وصرخ (أركنز) ، فى ألم ودهشة وغضب ..

وإثر صرخته ، هب ثلاثة رجال أقوياء ..

واستل كل منهم مسدسه ..

وانطلقت رصاصاتهم نحو الهدف ..

نحو ذلك الرجل ، الذى يحمل فى عالم الواقع اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *

٥ ـ اسـمه (أدهم) ..

« أنت واثق من أنه هو .. »

ألقى مدير المخابرات المركزية الأمريكية السؤال ، فى اهتمام بالغ ، وهو يتطلع إلى الصورة ، التى وضعها أمامه رئيس القسم التكنولوجى الفنى ، فأومأ الرجل برأسه إيجابًا ، واستبدل الصورة بتقرير مطبوع ، وهو يقول :

ـ كل الفحوص تؤكد هذا يا سيدى ؛ ففى مطار (بوينس أيريس) تقدم أحد القادمين ، على طائرة (الكويت) ، ببلاغ محدود ، أكد فيه أنه يشك فى أن الراكب الذى كان يجاوره ، ينتحل شخصية أخرى ، ولم تول السلطات هناك البلاغ اهتمامًا كافيًا ؛ نظرًا لأن مقدمه طاعن فى السن ، إلا أن أحد رجالنا أرسل تقريره بهذا الشأن ، مما دفعنا إلى مراجعة كل التفاصيل ، وإطلاق عيوننا للتيقن من الأمر .

تمتم مدير المخابرات الأمريكى :

ـ حسنًا فعلتم .

شكره الرجل بإيماءة من رأسه ، وتابع دون أن يتوقف :

ـ وعبر شبكة الاتصالات الدولية ، راجعنا جواز الأرجنتينى (خوزيه ماركوس) ، وكانت صورته مطابقة للرجل موضع الشك .

اعتدل المدير فى اهتمام ، عند هذه النقطة ، فواصل الرجل :

ـ ولكن الصورة التى التقطناها له ، بوساطة عيوننا ، لم تكن كذلك .

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

وضع الرجل صورة أخرى فوق التقرير المطبوع ، وأجاب :

ـ إننا لم نستخدم آلة تصوير عادية ، وإنما آلة تعمل بالأشعة فوق البنفسجية ، مع نظام رقمى خاص ، وهذا ما حصلنا عليه .

التقط مدير المخابرات الصورة ، وتطلع إليها فى اهتمام شديد ، وتوقف بصره عند عدة بقع داكنة فى أماكن متفرقة ، من صورة (خوزيه) ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ وما الذى توحى به هذه الصورة ؟!

أشار الرجل إلى البقع ، مجيبًا فى حماس :

ـ إنه يرتدى قناعًا مطاطيًا .

ارتفع حاجبا مدير المخابرات ، وهو يحدق فى الصورة مرة أخرى ، ثم يغمغم فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ابتسم الرجل ، وكأنما يروق له التأثير ، الذى أحدثه فى مديره ، ثم رفع سبابته ، فى شىء من الزهو ، قائلاً :

ـ ولقد أجرينا مجموعة من العمليات الرقمية المعقدة ؛ لمعالجة الصورة ، وإزالة الإضافات ، التى صنعها القناع بالوجه ، وانتهى بنا الأمر إلى هذا .

قالها ، وهو يضع أمامه صورة جديدة ، ولم يكد مدير المخابرات يراها ، حتى وثب من مقعده ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

فبخلاف بعض المناطق ، التى لم يفلح البرنامج الرقمى التعامل معها بالدقة الكافية كانت أمام المدير صورة واضحة له ..

لـ (أدهم صبرى) ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا ، ولم ينطق المدير حرفًا واحدًا ، وهو يحدق فى الصورة ، قبل أن يعيدها إلى سطح مكتبه ، ويتساءل بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال والتوتر :

ـ هل تتابعونه ؟!

مرة أخرى ، ابتسم الرجل فى زهو ، وأشار بسبابته ، مجيبًا :

ـ يمكنك أن تقول إننا نحصى أنفاسه ، ونرصد كل خطوة يخطوها ، منذ انتقل من (بوينس أيريس) إلى (بوجوتا) .

انتفض المدير ، هاتفًا :

ـ (بوجوتا) ؟! أهو فى (كولومبيا) الآن ؟!

أشار الرجل بسبابته مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ منذ فجر اليوم .

انعقد حاجبا مدير المخابرات الأمريكى فى شدة ، وتجمد على مقعده بعض الوقت ، دون أن يرفع عينيه عن الصورة ، ثم لم يلبث أن نهض ، واتجه إلى نافذة المكتب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، ولاذ بالصمت طويلاً ، حتى إن الرجل شعر بالقلق ، وهو يسأله :

ـ ماذا سنفعل يا سيدى ؟!

صمت مدير المخابرات بضع لحظات أخرى ، وهو يوليه ظهره ، قبل أن يجيب ، فى لهجة ملؤها الحزم :

ـ لن نفعل شيئًا .

خُيِّل للرجل أنه لم يسمع العبارة جيدًا ، فمال برأسه إلى الأمام ، متسائلاً فى توتر :

ـ ماذا ؟!

وهنا استدار إليه المدير ، وحملت ملامحه كل الحزم ، الذى أطل من صوته ، وهو يكرر :

ـ قلت لن نفعل شيئًا .

حدق فيه الرجل ذاهلاً ، قبل أن يقول فى ارتباك :

ـ ولكن يا سيدى ذلك الرجل هو (أدهم صبرى) .. الرجل الذى أشارت التقارير الرسمية كلها إلى مصرعه ، والذى يعد خصمنا رقم واحد ، بعدما أشيع ما فعله برجلنا فى (العراق) ، وآخرها انتحال هيئة أحد جنرالاتنا ، و ...

قاطعه المدير فى منتهى الصرامة :

ـ لن نفعل شيئًا بشأنه .. هل تسمعنى جيدًا ، أم أنك تحتاج إلى علاج لأذنيك ؟!

امتقع وجه الرجل ، من شدة توتره ، وهو يتطلع إليه فى صمت ، فعاد المدير إلى خلف مكتبه ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكننا لن نبلغ الرئيس أو إدارته بالأمر أيضًا .

انتفض جسد الرجل ، وقال فى عصبية :

- سيدى .. هذا مخالف لـ ...

قاطعه المدير فى خشونة :

- وجود رجل المخابرات المصرى فى (بوجوتا) ، يعنى أن لديه معلومات عن احتمال تواجد رفاقه على قيد الحياة ، فى أحراش (لاماس) ، وأنه يسعى إليهم .

وتراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قبل أن يضيف :

- ويعنى بالتبعية ، أن الأحراش هناك ستشهد أعنف قتال ، عرفته فى حياتها كلها .

انعقد حاجبا الرجل فى اعتراض ، وهو يغمغم :

- إنه مجرد رجل واحد .

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يسأله :

- أتعنى حقًا ما تقول ؟!

أجابه فى عصبية :

- (لاماس) ليس بالرجل السهل .. إنه إمبراطور تجارة المخدرات ، فى قارتين كاملتين ، ولقد فشلت واحدة من

أقوى فرق قواتنا الخاصة ، فى الظفر به ، فكيف يمكن لرجل واحد أنه يفعل ؟!

ابتسم المدير فى سخرية ، وهو يقول :

- من الواضح أنك لم تقرأ ملف (أدهم صبرى) جيدًا ، ولم تعرف لماذا تطلق عليه أجهزة المخابرات المختلفة لقب (رجل المستحيل) .

هز الرجل رأسه ، قائلاً :

- لست أومن بأن رجلاً واحدًا يمكن أن ينجح ، فيما فشلت فيه فرقة كاملة .

هب المدير من خلف مكتبه بحركة حادة ، قائلاً :

- خطـأ .

انتفض الرجل للمفاجأة ، ثم تجمد فى مكانه ، عندما عاد المدير ينهض ، مواصلاً فى صرامة :

- فرقة كاملة تعنى صخبًا ، وضوضاء أكثر مما ينبغى ، وتحركات فى مساحة كبيرة ، تضاعف من احتمالات الرصد والتحديد ، أما مع رجل واحد ، فالأمر يختلف .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وخاصة إذا ما كان ذلك الرجل .

انعقد حاجبا رئيس القسم التكنولوجى الفنى ، وهو يغمغم :

ـ ولكن هذا مخالف للقواعد .

صاح به المدير فى غضب :

ـ فلتذهب القواعد إلى الجحيم .

انتفض الرجل مرة أخرى ، وهو يحدق فيه ذاهلاً ، فتابع فى صرامة :

ـ إننا نسعى منذ فترة ، للسيطرة على (باولولاماس) ، وتدمير حصنه ، فى أحراش (كولومبيا) وفى الآونة الأخيرة أضفنا إلى هذا ضرورة استعادة الأسرى المصريين الأربعة لديه ، وفى سبيل هذا ، خسرنا فرقة من أفضل فرق قواتنا الخاصة ، وعندما تملكنا اليأس ، ولجأنا إلى خطة أكثر تعقيدًا ، ظهر ذلك المصرى ، الذى يسعى إلى أهدافنا ذاتها ، فهل نلقى القبض عليه ، ونوقف مساره ، ونفسد عملية بأكملها ، أم نفسح له المجال ، لينفذ أهدافه ، التى هى فى الواقع أهدافنا نحن ؟!

مضت لحظات فى صمت متوتر ، وكأنما يحاول الرجل استيعاب منطق رئيسه ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ وماذا لو فشل ؟!

ابتسم المدير فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عندئذ نكون قد أزحناه عن طريقنا .

ثم عاد يتراجع فى مقعد ، مضيفًا فى حزم :

ـ وفى الحالتين ، لن نخسر شيئًا ، بل ربما نربح الكثير ، الكثير جدًا .

ولم يعلّق الرجل على الموقف هذه المرة ..

فقد بدا له منطقيًا ..

للغاية .

* * *

منذ أكثر من عشر سنوات ، عرف كل طفل فى (بوجوتا) ، أن (باولو لاماس) هو الزعيم ..

هو إمبراطور تجارة المخدرات الشرس ، الذى لاتجرؤ الحكومات نفسها على التصدى له ، أو حتى إثارة غضبه ، بأى حال من الأحوال ..

وهذا ينطبق أيضا على رجاله ..

وتاريخ (بوجوتـا) يحـوى قائمـة مـن الاغتيـالات الوحشية العنيفة، التى انتهت التحقيقـات فيهـا إلـى طريق مسدود، على الرغم من أنها تحمل كلها بصمة (لاماس) وزبانيته، باعتبار أن كل الضحايا ممن حاولوا اعتراض طريق إمبراطور المخدرات، أو أحد رجاله.

لذا، فقد اكتسب الرجل وعصابته حصانة مخيفة فى (بوجوتا).

بل فى (كولومبيا) كلها ..

وعندما هاجم (أدهم) ذلك العملاق (أركنز)، حبس الكل أنفاسهم، فى رعب هائل، وأيقنوا أن الأمور لن تمر بسلام قط ..

وهذا ما حدث بالفعل.

ففى قلب البار نفسه، كان يجلس ثلاثة من زبانية (لاماس)، الذين أغضبهم ما أصاب زميلهم الضخم، فهبوا ثائرين، وأطلقوا رصاصات مسدساتهم نحو (أدهم) ..

ولكن (أدهم) لم يتوقف لاستقبال رصاصاتهم ..

بل تحرك، قبل حتى أن تضغط سباباتهم أزندة مسدساتهم ..

وبالنسبة للجالسين، لم يروه يتحرك ..

وإنما يطير ..

فبوثبة مدهشة، تعلق بكرة دوارة، تتألق فى سقف البار، ثم قفز منها إلى الأوغاد الثلاثة ..

أو بمعنى أدق، خلفهم مباشرة ..

واتسعت العيون كلها فى ذهول، مع السرعة التى تحرك بها، وهو يلكم أضخمهم فى مؤخرة عنقه، لكمة ألقته ثلاثة أمتار إلى الأمام، قبل أن يسقط على وجهه بمنتهى العنف ..

وقبل حتى أن يدرك الآخران ما حدث، كانت قدم (أدهم) تضرب العمود الفقرى لأحدهما، ثم يدور جسده كله، وهو يثب إلى أعلى، ليواجه الثالث، الذى استدار إليه، بركلة مباشرة، فى أنفه مباشرة ..

وبكل ذهول وذعر الدنيا ، تراجع رواد البار ، وانكمشوا في ركنه البعيد ، وعيونهم متسعة ، وأفواههم مشدوهة ، وأجسادهم مرتجفة ، بعد أن حال (أركنز) بينهم وبين المخرج ، وهو ينهض في ثورة ، ويمسح الدم الذي يسيل من أنفه المحطم ، صارخا :

- لقد كتبت شهادة وفاتك بحماقتك يا هذا .

وثب (أدهم) ، ليهبط بأحد قدميه على ظهر الرجل الملقى أرضًا ، ثم يركل آخر ، هم بالنهوض ، ويعيده إلى الأرض ، وهو يقول :

- يبدو أنها سمة مشتركة ، في كل الأوغاد .

انقض عليه (أركنز) ، وهو يستل من حزامه سيفًا قصيرًا ، ويطلق صرخة وحشية قوية ، ولكن (أدهم) تفادى انقضاضته في مرونة مدهشة ، وبساطة مذهلة ، وعاد يلكمه في أنفه بكل قوته مكملاً :

- تتحدثون كالحكماء ،

وأضاف لكمة كالقنبلة في أسنانه ، ليحطم ثلاثًا منها ، مضيفًا :

- وتقاتلون كالمعاتيه .

دارت الدنيا ، أمام عيني (أركنز) ، وحاول أن يتماسك ، وهو يبصق الدم من بين شفتيه ؛ هاتفًا :

- أيها الـ ... الـ ...

أخرسه (أدهم) بلكمة ساحقة ، بين عينيه مباشرة ، فسقط أمامه كالحجر ، وسقط سيفه إلى جواره ..

وفي هدوء مذهل ، وسط الصمت الرهيب ، الذي ساد المكان كله ، نفض (أدهم) كفيه ، ثم استدار إلى الساقي ، قائلاً بابتسامة عجيبة ، وكأنه قد انتهى على التو ، من وجبة شهية :

- معذرة للفوضى يا رجل ، ولكنني أعتقد أن ماحدث هنا سيربحك الكثير .. أليس كذلك ؟!

لم يعلق شخص واحد على عبارته ، وجميعهم يحدقون في ذهول ، خاصة وقد تمزق جزء كبير من ذلك القناع المطاطي ، الذي يحمل ملامح (خوزيه ماركوس) ، وتدلى في مشهد رهيب ..

ومع نظراتهم، انتبه (أدهم) إلى هذا، فبسط شفتيه، وهز كتفيه في هدوء، قائلاً:

- أظن الأمر لم يعد يستحق الإخفاء..

ومع قوله، مزق ما تبقى من القناع، وألقاه جانبًا، ثم انحنى يحمل (أركنز) على كتفيه، في بساطة مذهلة، كما لو أنه يحمل طفلاً صغيرًا، فانطلقت شهقات الدهشة والانبهار، وهو يغادر به البار، ويلقيه داخل سيارة مكشوفة، ثم يثب إلى مقعد قيادتها، وينطلق بها مبتعدًا..

وكانت سابقة، هي الأولى من نوعها، في تاريخ (بوجوتا)..

سابقة ستقلب الأوضاع كلها رأسًا على عقب!

حتمًا..

* * *

«لماذا لم تخبرهم ؟!»

نطقت الزعيمة الغامضة العبارة، عبر جهاز اتصال رقمي خاص، فاستقبلها مدير المخابرات الأمريكي، عبر هاتفه الشخصي، وانعقد حاجباه في ضيق، وهو يقول:

- كان من الحماقة أن أفعل.

قالت بلهجة عجيبة، جمعت بين السخرية والصرامة:

- ولكنني تحدثت إليك وسطهم.. ألم يوح إليك هذا بأنني أريدهم أن يعلموا.

قال في صرامة:

- لست أظنك بالحماقة، التي تدفعك إلى هذا.

أجابته في سرعة:

- ولست أظنك تسعى للانفراد بالأمور في ظروف كهذه.

صمت بضع لحظات، قبل أن يقول:

- الواقع أنني أسعى لتصحيح الأوضاع.

هتفت:

- تصحيح ماذا ؟!

ومع قولها، انفجرت ضاحكة، على نحو عابث ساخر، احتقن له وجهه في شدة، وهمّ بقول شيء ما، إلا أنه آثر الصمت، حتى انتهت من ضحكتها، وقالت في سخرية:

ـ إذن فقد توصلت إلى ما أدركته أنا منذ زمن .. أنك تعمل مع إدارة تافهة مغرورة ، تتعامل بتعال وغطرسـة ، بأكثر مما تتعامل بعقل وحكمة .

بدا غاضبًا ، وهو يقول :

ـ لقد أفسدوا الأمور منذ البداية ، وتورطوا فى أمـور تتناسب مع عصابات (شيكاجو) ، بـأكثر ممـا تتناسب مع إدارة محترمة .

قالت فى هدوء :

ـ هذه نقطة نتفق عليها .

انتهت من قولها وصمتت ..

فصمت ..

وطال صمتهما بضع ثوان ، قبل أن يسألها فى توتر :

ـ أنت تريدين مستر (X) .. أليس كذلك ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ أظن الجميع يريده ، خاصـة وأنـه يمتلك مـا يهدد أمن واستقرار الإدارة الأمريكية كلها .

قال مدير المخابرات الأمريكى فى حذر :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، ولكنـه لايبرر أن تستبدل استبداده بديكتاتوريتك الرهيبة .

كان يتوقع منها اعتراضًا أو استنكارًا ؛ إلا أنه فوجئ بها تطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن تقول :

ـ قل لى يا عزيزى : هل اختلط عليك الأمر ، فصـرت تتصور نفسك خطيبًا سياسيًا ؟!

قال فى حدة :

ـ مامبرر هذه السخرية ؟!

أجابته فى صرامة مفاجئة :

ـ لأنك لم تعد تفكر كرجـل مخـابرات ؛ لا يهمه إلا تنفيذ مهامه بنجاح ، وتحقيق أكبر عائد منها .

قال بنفس الحدة :

ـ وما العائد الذى يمكن أن نربحه ، من التعامل معك ؟! كل ما نذكره هو أنك سبب هذه الورطـة الرهيبـة ، التى غرقت فيها الإدارة كلها .

قالت فى شراسة :

- هذا لأنكم حاولتم تحدى إرادتى ، ولو طاوعتمونى ، لجعلت منكم أقوى دولة ، فى العالم كله .

قال فى غضب :

- إننا بالفعل أقوى دولة ، و ...

قاطعته بصيحة هادرة :

- إلى متى ؟!

بتر حديثه ، وصمت لحظة ، قبل أن يسأل فى عصبية :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته بشراستها المخيفة :

- أعنى أنكم ستظلون أقوى دولة ، حتى تواجهون انتقامى .. وليس أمامكم خيار آخر .. فإما أن أمنحكم صداقتى ، وتقبلون التعاون معى ، أو أذيقكم أقسى مما ذقتموه ، فى المرة السابقة ، لو أن ذاكرتكم لم تخنكم بعد .

أراد مدير المخابرات الأمريكية أن ينفجر غاضبًا ، وأن يصرخ بكل ما يشتعل فى أعماقه ، إلا أن عقليته المخابراتية درست الأمر ..

واستعادت ذكرياتها ..

وأجرت حساباتها ..

وتحليلاتها ..

ودراساتها ..

وفى حدة ، قال :

- أريد سماع عرض واضح محدود .

أجابته فى برود :

- لقد قدمت عرضى بالفعل .

أدهشه كثيرًا تحول انفعالاتها السريع ، ووجد نفسه يقول فى عصبية :

- وماذا عن مستر (X) ؟! إننا ما زلنا نعجز عن التوصل إليه .

قالت فى حزم :

- معًا ، سنفعل ما يعجز أحدنا منفردًا عن فعله .

صمت بضع لحظات ، ثم غمغم :

ـ أنت على حق .

كان يهم بإضافة شيء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه فى سرعة ، وألقى نظرة على شاشته ، ثم قال فى توتر :

ـ فليكن أيتها الزعيمة ، سأدرس عرضك هذا ، ونتحدث فيما بعد .

أدهشه أن قالت فى سرعة :

ـ فليكن .

ثم أنهت الاتصال بنفس السرعة ، إلا أنه لم يضع وقتًا فى محاولة استيعاب الموقف ، وإنما ضغط زر الاتصال ، قائلاً فى لهفة :

ـ هل من جديد فى (بوجوتا) ..

استمع فى انتباه إلى صوت محدثه ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ يا للجرأة ! إنه سيشعل (بوجوتا) كلها .

ثم صمت لحظة أخرى ، وأضاف فى حزم :

ـ كلا .. لا تتدخلوا أبدًا .. اتركوا الأمـور تنطلق فى مسارها .. أظنه يعرف جيدًا ما يفعله .

لم يدر ، وهو ينطق عبارته ، أن تلك الزعيمة الغامضـة ، كانت تلتقط كل حرف نطق به ..

وهذا يعنى أن ساحة المعركة ستتسع ..

وأن النيران ستشتعل ، على نحو لم يحدث من قبل ..

فى قلب الأحراش ..

أحراش (بوجوتا) ..

* * *

٦ - الوحوش ..

اشتعلت نيران الجحيم كلها ، فى وجه (باولو لاماس) ، وهو يطلق صرخة هادرة ، ارتجّت لها الأحراش :

- شخص يتحدى رجالى ؟! يا للعار ! وكيف بقى ذلك الشخص على قيد الحياة ، بعد الذى وصفتموه ؟!

أجابه أحد رجاله فى توتر :

- شهود العيان يقولون إنه قد تحرك بسرعة مدهشة ، بعد أن أسقط رجالنا الأربعة ، وحمل معه (أركنز) ، فى سيارة مكشوفة ، لا أحد يعلم أين ذهبت .

أطلق (لاماس) صرخة هادرة أخرى ، واختطف مدفعه الآلى الضخم ، وأطلق نيرانه فى السماء ، صائحًا :

- لا .. لايمكن أن نسكت على هذا أبدًا ..

شعرت (لوتشيا) بالقلق عليه ، عندما احتقن وجهه بشدة ، على نحو لم يحدث من قبل ، وهو يهتف :

- اعثروا على هذا الرجل بأى ثمن .. ابحثوا عن السيارة ، التى حمل فيها (أركنز) .. استجوبوا كل من شاهد الواقعة .. استخدموا رجال الشرطة ، الذين يتقاضون منا ثروة ، فى كل شهر .. أريده بأى ثمن .. ينبغى أن يعرف الكل أن مصير من يتحدى (لاماس) ورجاله هو الموت .

هتفت (لوتشيا) :

- ليس الموت فحسب ، ولكن لابد وأن يموت بأبشع وأبطأ وسيلة ممكنة ، حتى يذوق عذابًا بلا حدود .

وصرخ (لاماس) :

- ماذا تنتظرون ؟!

انطلق رجاله كلهم لتنفيذ الأمر ، فى حين التصقت (لوتشيا) بزعيمها ، وهى تقول ، محاولة تهدئته :

- أراهن أنه مصـارع أحمق ، أراد أن يثبت وجوده فحسب .

زمجر (لاماس) فى ثورة ، قائلاً :

- هـــراء .

ثم أشار بمدفعه إلى ذلك الكوخ ، الذى يضم الأســرى ، مضيفاً فى عصبية غاضبة :

- لقد جاء من أجلهم .

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، وهى تتطلع إلى الكــوخ بدورها ، قبل أن تتمتم فى قلق :

- حقاً ؟!

دق صدره بقبضته ، على نحو جعله أشبه بالغوريلا ، وهو يقول فى حدة وحنق :

- أنسيت أن لدى مصادرى ؟!

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تنقل بصرها ، بينه وبين الكوخ ، المحاط بحراسة مشددة ، وتمتمت :

- ليتنى تخلصت منهم ، عندما أتيحت لى الفرصة لهـذا .

زمجر (لاماس) ، قائلاً :

- كان بإمكانك أن تفعلى .

عضت شفتيها ندماً ، وهى تقول :

- ليتنى فعلت .. لقد تصورت لحظتها أن الإبقاء عليهم سيمنحنا سلاحاً ، فى وجه أعدائنا .. لايمكننى أن أصدق أن سبابتى كانت على الزناد ، ولكن الفكرة راودتنى فى اللحظة الأخيرة ، فأبعدت فوهة المدفع عنهم ، وتركتها تنطلق فى سقف الكوخ .

ثم امتلأت ملامحها بالغضب ، وجذبت إبـرة مدفعها ، مستطردة فى مقت :

- ولكنه خطأ يمكن إصلاحه .

أمسك مدفعها فى قوة ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

- كـلا .

أدارت عينيها إليه ، فتابع فى خشونة :

- إنهم سلاح قوى الآن بالفعل .

صاحت مستنكرة :

- هل تخشى رجلاً واحدًا ؟!

زمجر مرة أخرى ، قائلاً :

- (لاماس) لايخشى أحدًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حدة :

- ولكن مصادرى تؤكد أنه ليس مجرد رجل عادى .

هتفت :

- فى كل الأحوال ، هو رجل واحد .

صمت بضع لحظات ، رمقها خلالها بنظرة وحشية ، لم تفهم مغزاها بالضبط ، قبل أن يقول :

- ما حدث فى (بوجوتا) سابقة مخيفة ، لو مرت بسلام ، لانهارت هيبتنا ، فى (كولومبيا) كلها ؛ لذا فمن الضرورى أن يتم تدمير ذلك الرجل هناك ، وأن يدرك الكل أن هذا قد حدث ، وأن المساس برجال (باولولاماس) يعنى الموت .. وبلا رحمة .

سألته فى لهفة :

- وماذا بعد أن نسحقه ؟!

صمت لحظات أخرى ، ثم أدار عينيه إلى ذلك الكوخ ، مجيبًا بكل مقت الدنيا :

- سنسحقهم سحقًا .

وأثلج قوله صدرها ..

بشدة ..

* * *

انطلقت زمجرة وحشية ، من حلق (أركنز) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، ويفتح عينيه ، قائلاً :

ـ أين أنا ؟!

لم يسمع جوابًا لسؤاله ، على الرغم من شعوره بوجود شخص ما ، على مقربة منه ، فأدار عينيه جانبًا ، ووقع بصره على وجه (أدهم) ، بدون قناع (خوزيه) ، فقال فى عصبية ، وهو يقاوم الأغلال المعدنية ، التى تقيد معصميه خلف ظهره :

ـ من أنت ؟!

أجابه (أدهم) ، فى برود شديد :

ـ عظيم أنك قد استعدت وعيك أيها الوغد ، فلست أنوى إضاعة المزيد من الوقت .

زمجر (أركنز) مرة أخرى ، وقاتل فى شراسة ، للتخلص من قيوده ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ محاولة فاشلة أيها الحقير .. لقد قيدتك بإحكام وبأغلال فولاذية قوية ، فى ذلك العمود الخرسانى ، ويمكنك أن تجهد نفسك لساعة كاملة ، دون أن يسفر هذا عن شىء .

بدا (أركنز) كالوحش الشرس ، وهو يقول :

ـ لن تنجو بفعلتك هذه أبدًا .. سنيور (لاماس) سيعثر عليك ، حتى ولو اختبأت فى أعمق أعماق الجحيم ، وعندئذ ستتمنى الموت ألف مرة ، قبل أن ...

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ تمامًا كما أخبرتك من قبل .

ثم نهض إليه ، والتقط صفيحة كبيرة ، مستطردًا :

ـ كلام الحكماء ، فى عقول الدهماء .

وشد قامته ، على نحو جعله يبدو عملاقًا مهيبًا ، وهو يتطلع إلى (أركنز) ، قائلاً فى صرامة :

- المهم أننى لست مستعداً لإضاعة الكثير من الوقت ، وأريد أجوبة مباشرة وسريعة على أسئلتى .

زمجر (أركنز) ، هاتفاً فى حدة :

- لو أنك تتعشم الحصول منى على جواب واحد ، فأنت واهم .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

- هل تظن هذا حقاً ؟!

ثم حمل الصفيحة إلى مستوى صدره ، مضيفاً :

- دعنا نختبر الأمر إذن ، سؤال أساســى .. أين أجد ذلك الوغد (لاماس) ؟!

رمقه (أركنز) بنظرة ساخرة عصبية ، فهز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- فليكن .

وبحركة سريعة ، سكب محتويات الصحيفة كلها على رأس (أركـنز) ، الـذى فوجـئ بسـائل نفـاذ الرائحـة يغمره ، فهتف :

- أيها الـ ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء ، حمل لمحة ساخرة ، بـدت مخيفة للغاية ، فى ذلك الموقف :

- بنزين .. هـذا السائل ، الذى تسبح فيه الآن ، هو البنزين أيها الوغد ، ولو أنك لاتعرفه ، فهو سائل شديد القابلية للاحتراق ، وتكون أبخرته مع الهواء مخلوطاً شديد الانفجار ، كما أنه مذيب عضوى جيد أيضاً(*) ، ولست أظن هذا أمراً مفهوماً لديك ، ولكن مايسهل على عقلك التافه استيعابه ، هو أن عود ثقاب واحد ، يكفى لتحويل جسدك ، فى لحظة واحدة ، إلى كتلة من اللهب .

قالها ، وأشعل عود ثقاب بالفعل ، قبـل أن يستطرد ، فى برود قاس مخيف :

- ولنختصر إما أن تجيب أسئلتى دون تردد ، أو ألقى عود الثقاب هذا عليك ، وأنصرف من هنا ، بحثـاً عـن يجيبها .

(*) حقيقة علمية .

استمع إليه (أدهم) فى انتباه شديد ، وهو يحدد موقع المعسكر ، و ...

وفجأة ، التقطت أذناه صوتًا آخر ..

صوت خافت للغاية ، لحركة أقدام ، تحيط بالمنزل الصغير ، الذى يختبئ فيه مع أسيره ..

وفى صرامة ، استوقف (أركنز) ، قائلاً :

- اصمت .

انتبه (أركنز) للموقف ، وتألقت عيناه فى ظفر ، واعتدل جسده ، وهو يهم بالصراخ مستنجدًا ، ولكن (أدهم) عاجله بلكمة كالقنبلة ، وفى أنفه مباشرة ، سقط رأسه إثرها على صدره ، فى نفس اللحظة التى تحرك فيها هو ، فى سرعة وخفة ، ليرصد ما يحدث من حوله ..

كان المنزل فى منطقة منعزلة ، خارج العاصمة الكولومبية ، والشمس تميل إلى الغروب ، ومع ظلالها الممتدة ، لمح الأشخاص الذين يتحركون فى سرعة وخفة ، لمحاصرة المكان كله ..

كانوا أكثر من عشرة رجال ، يحملون المدافع الآلية القوية ، ويتخذون مواقع جيدة ، للسيطرة ليس على المنزل وحده ، ولكن على المنطقة كلها ..

وكجزء من فرقة عسكرية فعلية ، انتزع أحد الرجال ، المحيطين بالمنزل ، جهاز اتصال لاسلكى من حزامه ، وهمس عبره فى حزم :

- سنيور (لاماس) .. تمت محاصرة المنزل المنشود ... لدينا ما يؤكد أن (أركنز) داخله ، مع ذلك الرجل ، ونطلب أوامرك ، بشأن التعامل مع الموقف .

مضت لحظة من الصمت ، ثم أتاه صوت (لاماس) ، وهو يزمجر فى وحشية ، قائلاً :

- انسفوا ذلك المنزل تمامًا .. لا أريد أن تبقى فيه ذرة واحدة سليمة .

حمل جهاز الاتصال اللاسلكى توتر الرجل ، وهو يتساءل :

- ولكن (أركنز) لا يزال فى الداخل ، و ...

قاطعه (لاماس) بمنتهى الغضب :

- نفذ الأمر دون مناقشة .

أطلق الرجل زفرة عصبية ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سنيور (لاماس) .. كما تأمر .

وأنهى الاتصال ، وأشار بيده ..

وانهالت الرصاصات على ذلك المنزل ..

كالمطر ..

انهالت ..

وانهالت ..

وانهالت ..

وتحطمت النوافذ ..

والجدران ..

وصرخ (أركنز) .

صرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

ثم أخرسته الرصاصات ، وأخمدت صرخاته إلى الأبد .

وبعدها اشتعلت النيران فى المنزل ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالمكان كله ..

وارتجت له (بوجوتا) كلها ..

وانتفضت ..

رعبًا ..

* * *

بدا (أبـل كورلـوف) ، زعيـم (المافيـا) الروسـية الجديد شديد العصبية ، وهو يقول لتلك الزعيمة ، داخل مقرها الحصين ، فى ثلوج (سيبيريا) :

ـ أتطلبين منى العمل لحسابك ؟!

أشعلت الزعيمة سيجارتها الرفيعة فى هـدوء ، وهـى تقول :

ـ كلا .. إننى أطلب منك العمل تحت قيادتى ، يا عزيزى (كورلوف) .

اشتعل الغضب فى وجهه ، وهو يقول :

- وهــل بلغت بك الوقاحة هــذا الحد ؟! وأين ؟! فى (روسيا) ؟! فى منطقة نفوذى الأولى .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت وهى تنفث دخان سيجارتها فى بطء :

- منطقة نفوذك ؟! ما يبدو لك منطقة نفوذ ، هو بالكاد شريحة من منطقة نفوذى يا رجل ، فأنت تسيطر على (موسكو) ، وبعض مدن روسية أخــرى ، أمــا أنــا ، فأسيطر على قارة بأكملها .

ومالت نحوه ، وبدت صارمة مخيفة ، وهى تضيف :

- أقوى قارة فى العالم الجديد .

ازدرد لعابه فى توتر ، على الرغم من محاولته الثبات أمامها ، وهو يقول :

- هل تعنين ...

تراجعت قبل أن يتم سؤاله ، وقالت فى هدوء ، حمل رنة من الزهو :

- نعم الولايات المتحدة الأمريكية كلها .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فيها لحظــة ، قبل أن يقول فى حدة :

- هراء .. مجرد قول مرسل ، بلا أدنى دليل .

تألقت فى عينيها ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

- دليل ؟! تسألنى عن دليل ؟! وهل أبــدو لك كـامرأة تلقى الأقوال هباءً ، دون سند قوى ؟!

حار كثيرًا فى البحث عن جواب لسؤالها ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية ، وهو يلوح بيده :

- وكيف يمكن لامرأة واحدة ، أن تسيطر على زعيمــة العالم الجديد كله ؟!

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تجيب فى سخرية :

- هذا ما ينبغى أن تعمل تحت قيادتى ؛ لتتعلمه .

أحنقه قولهــا مرة أخرى ، فانعقد حاجباه فى غضــب ، ولكنه تماسك فى اللحظة الأخيرة ، ليقول :

- عرضك يبدو لى وقحًا يا سيدتى .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ ربما .. ولكننى أقدّمه مرة واحدة فحسب ، فإما أن تقبله أو ترفضه .

ثم اعتدلت بحركة مباغتة ، مضيفة فى شراسة :

ـ وفورًا .

للوهلة الأولى ، تفجر فى كيانه غضب هادر ، وكاد يصرخ فى وجهها ، إلا أن عقله لم يلبث أن أطلق صفارة إنذار قوية ، جعلته يحدق فيها فى صمت ، فتراجعت مرة أخرى ، مستطردة :

ـ هل ستستغرق وقتًا طويلاً فى التفكير ؟

قال فى عصبية :

ـ لم أسمع عرضًا واضحًا .

هزت كتفيها مرة أخرى ، قائلة :

ـ إنه عرض بسيط للغاية ، فبالنسبة للجميع ، ستظل زعيم (المافيا) الروسية القوى ، مهاب الجانب ، الذى يخشى الكل مجرد ذكر اسمه ، وستواصل فرض سيطرتك على (موسكو) وما حولها ، وسأعاونك أنا

على أن يمتد نفوذك إلى (روسيا) كلها ، وأن يتضاعف دخلك السنوى مرتين على الأقل .

راق له حديثها كثيرًا ، فاعتدل فى مجلسه فى انتباه ، قبل أن تضيف هى بمنتهى الصرامة :

ـ وكل هذا بمقابل واحد .

عاودته عصبيته ، وهو يغمغم :

ـ طاعة أوامرك .

أشارت بيدها الممسكة بسيجارتها ، قائلة :

ـ بالضبط .

انعقد حاجباه فى عصبية ، فنفثت دخان سيجارتها ، وتابعت :

ـ فيما بيننا ، ستكون ذراعى اليمنى ، ولن تقدم على أى عمل ، أو تصدر أية أوامر ، دون موافقتى المسبقة .

لم يرق له هذا أبدًا ، فأشاح بوجهه ، متمتمًا :

ـ لم أعتد هذا قط .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تلقى سيجارتها بعيدًا ، قائلة :

- حقًا ؟! معلوماتى تشير إلى عكس هذا ، وإلــى أنك كنت مجرد تابع صغير ، منذ بضع سنوات ، و ...

قاطعها فى حدة :

- فليكن .. إننى أقبل عرضك .

أشعلت سيجارة رفيعة أخرى ، وهى تقول :

- أحسنت ..

ثم نفثت الدخان فى سماء الحجرة بمنتهى العمق ، قبل أن تضيف :

- والآن ، استمع إلىّ جيـدًا ؛ فعمليتنـا المشـتركة الأولى ، ستزيح مـن طريقنـا خصمًـا رهيبًـا ، وستضعنا مباشرة على عرش الزعامة .

وصمتت لحظـة ، قبـل أن تضيف ، فى لهجة بدت لـه مخيفة :

- إلى الأبد .

وسرت فى جسده قشعريرة باردة ..

قشعريرة نافست جليد (سيبيريا) ..

وتفوقت عليه ..

ألف مرة ..

* * *

انعقد حاجبا (لاماس) فى غضب هادر ، وهو يستمع إلى محدثه ، عبر هاتف جوال خاص مرتبط بالأقمار الصناعية ، قبل أن يصرخ بصوته الغليظ الخشن :

- أى قول أحمق هذا ؟! كيف يمكن أن تنسفوا ذلك المنزل كله ، دون أن تظفروا بخصمكم .

أجابه محدثه فى توتر :

- لقد جذب انتباهنا أنه لم يتبادل معنا رصاصة واحدة يا سنيور (لاماس) ، على الرغم من أن ما فعله فى ذلك البار ، لا يتناسب مع هذا أبدًا ؛ لذا فقد قمنا بفحص حطام المنزل بعد انفجاره ، ولم نعثر إلا على جثة (أركنز) وحده .

صاح (لاماس) فى ثورة :

- وأين ذهب الرجل الآخر ؟!

أجابه محدثه بسرعة :

- كان هناك سرداب فى قبو المنزل ، يمتد إلى مسافة بعيدة ، ولما لم نكن ندرك وجوده ، فقد ..

قاطعه (لاماس) بكل ثورته :

- وكيف هذا أيها الأغبياء ؟! كيف يعلم غريب بوجوده ، وتجهلون أنتم هذا ؟!

بدا محدثه شديد العصبية ، وهو يقول :

- من الواضح أنه ليس رجلاً عاديًا ياسنيور (لاماس) ، فقد قضى ثلاث ساعات ، فى مراجعة كل السجلات العقارية فى المنطقة ، قبل أن يستأجر ذلك المنزل ، ولاريب فى أنه قد استأجره ، عندما علم بوجود ذلك السرداب أسفله .

احتقن وجه (لاماس) ، وهو يقول فى غضب شديد :

- وأين ذهب الآن ؟! أين هو ؟!

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يقول فى تردد :

- لقد .. لقد فقدنا أثره ، و ...

صرخ (لاماس) :

- فقدتم أثره .

لم يدر الرجل ماذا يقول ، ولكن (لاماس) تابع ، بكل ثورة الدنيا :

- أريد ذلك الرجل .. أريده بأى ثمن .. هل تفهم ؟!

وأنهى الاتصال فى عنف ، فسألته (لوتشيا) فى قلق :

- لماذا تبدو عصبيًا إلى هذا الحد ؟! إنك لم تنفعل بهذا العنف ، عندما علمت أن فرقة أمريكية كاملة ستهاجمنا ؟!

رمقها بنظرة عصبية ، ثم هتف برجالـه ، دون أن يجيبها :

- استعدوا لتنفيذ خطة الطوارئ القصوى (أ) .. أريد إحاطة كاملة للمكان بوسائل التأمين ، والأفخاخ ، وسبل الرصد وكشف الحركة .. ضعوا رجلين فى كل برج حول المعسكر ، وضاعفوا الحراسة حول كوخ الأسرى .

غمغمت (لوتشيا) فى عصبية :

- أمازلت تصرّ على الإبقاء عليهم ؟!

مرة أخرى تجاهلها تمامًا ، وهو يضيف فى عصبية :

- أريد دائرة كاملة من الألغام حول المكان ، وفقًا للترتيب الذى تدربتم عليه ، ونظام اتصال متواصل ، كل خمس دقائق ..

هتفت (لوتشيا) :

- (لاماس) .. أنت تبالغ كثيرًا .

استدار إليها (لاماس) ، وبكل غضبه وثورته ، صارخًا :

- اخرسى .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وتراجعت كالمصعوقة ، فأمسك كتفيها بأصابع قوية مؤلمة ، وهو يتابع فى غضب :

- أنت تجهلين من هو خصمنا بالضبط ، والجهل هو أول لبنة ، فى قبر الهزيمة ؛ لذا فاصمتى تمامًا ، ونفذى الأوامر كالآخرين .. هل تفهمين ؟!

حدقت فى عينيه مذعورة ، قبل أن تقول ، فى لهجة أشبه بالهمس :

- أفهم يا (باولو) .. أفهم .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها هذه ، كانت هناك طائرة صغيرة ، تحلق فوق أحراش (كولومبيا) ، وقائدها يقول :

- ما وظيفتك بالضبط ؟! أأنت مصور صحفى ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يرصد المناطق ، التى تحلق فوقها الطائرة :

- يمكنك أن تقول هذا .

مطّ الطيار شفتيه ، قائلاً :

- كنت أتوقع هذا ، فأمثالكم فقط من يجازفون بتفقُّد أحراشنا .

سأله (أدهم) بنفس الهدوء :

- أهى خطيرة إلى هذا الحد ؟!

أجابه الطيار :

- إنها تحوى عشرات الوحوش المفترسة ، وأنهارها تموج بتماسيح (الكايمان) القاتلة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- وهذا ليس أخطر ما فيها .

التقط (أدهم) حقيبة صغيرة ، وهو يقول بلهجة آمرة :

- در حول هذه المنطقة مرة أخرى .

أطاعه الطيار بحركة آلية ، وهو يقول :

- لست أدرى ما الذى يعجبك فيها ؟! إنها منطقة كثيفة الأشجار ، ولن تسمح لك برؤية ماتحتها .. لو أردت التقاط صور أفضل ، فدعنا نذهب إلى منطقة الشلالات ، و ...

قاطعه (أدهم) بمنتهى الصرامة :

- كلا .

التفت الرجل إليه ، ورآه يثبت تلك الحقيبة خلف ظهره ، فتمتم فى شىء من التوتر :

- أهذه آلات التصوير ؟!

أجابه (أدهم) بنفس الصرامة :

- كلا .. ليست كذلك !

ثم فتح باب الطائرة فجأة ، مضيفاً :

- إنها مظلة .

هتف الطيار بكل دهشته :

- ماذا ؟!

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، كان (أدهم) قد وثب ..

وشهق الطيار ..

شهق ، وهو يهتف مذعورًا :

ـ رباه .. ماذا تفعل أيها المجنون ؟!

ولكن السؤال لم يكن له ما يبرّره ؛ فقد كان جسد (أدهم) يسبح فى الهواء بالفعل ، وهو يهبط هناك ..

فى قلب الأحراش ..

كانت الشمس قد غربت بالفعل ، وانعدمت الرؤية تقريبًا ، فى تلك المنطقة البدائية ، التى تفوح برائحة الماضى ، عندما جذب حبل المظلة ، وبدأ مرحلة الهبوط الهادئ المنتظم ..

وبوساطة التحكُّم فى أحبال المظلة ، بدأ فى توجيه نفسه إلى حيث أراد .. وعلى الرغم من الظلام الشديد ، كان أحد رجال (لاماس) يجلس فوق غصن شجرة قوى ، وهو يضع على عينيه منظارًا مقرّبًا ، يعمل بالأشعة دون الحمراء ..

وعبر تلك المنظار القوى ، تابع هبوط (أدهم) ، والتقط جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود من حزامه ، قائلاً :

ـ سنيور (لاماس) .. لقد كنت على حق .. المصرى وصل .

ونقل جهاز الاتصال زمجرة إمبراطور المخدرات الكولومبى ..

تلك الزمجرة ، التى جعلته أشبه بوحش ..

وحش مفترس ..

رهيب .

٧ـ الحصـار..

بكل توتر الدنيا ، راح مستر (X) يراجع التقـارير ، التى وردت إليه ، عبر شبكة عملائـه ، من كل أرجـاء المعمورة .

راجع كل صفحة ..

كل سطر ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

ولكنـه لم يجـد معلومـة واحـدة ، يمكـن أن تقـوده إليها ..

إلى الزعيمة الغامضة ..

كـان واثقـًا ، من أنها تفعل الأمر ذاتـه ، فـى تلك اللحظة ..

تراجع تقاريرها ، حتى تتوصَّل إليه ..

وتتخلص منه ..

إلى الأبد ..

كان سباقًا وحشيًا ، بين منظمتين قويتين ، ترغب كل منهما فى أن تنتزع عالم الجاسوسية السفلى ، وتفرض سيطرتها وهيمنتها عليه ..

والرابح فى هذا السباق ، سيربح إلى الأبد ..

وسيزيح خصمه إلى الأبد أيضًا ..

ليس من السباق فحسب ..

ولكن من الدنيا كلها ..

ولأنهمـا محترفـان ، فكـل منهمـا يـدرك أن السـبيل للظفر بالآخر هو المعلومات ..

أية معلومات ..

ومنذ عدة ساعات ، يجاهد بلا نوم ، للظفر بطرف خيط ..

فقط طرف خيط ..

وعندما أرهقه التعب ، وأعيته الحيلة ، هبّ من مقعده ، وغمغم فى غضب شديد :

- (تيا) .

ففى تلك الصينية ، بدا له أن الأمل الوحيد ، فى بلوغ طرف الخيط المنشود ، يكمن فيها ..

فى تلك الصينية الحسناء ، التى سعت إليه ، بأوامر من الزعيمة نفسها ..

وحدها لديها معلومات عنها ..

وحدها يمكن أن تقوده إليها ..

سيطرت عليه الفكرة بشدة ، فعاد إلى مقعده ، وضغط أزرار جهاز الاتصال ، وما إن ظهر وجه

الطبيب المعالج على الشاشة ، حتى سأله بكل الصرامة :

- ألم تستعد وعيها بعد ؟!

زفر الطبيب ، فى توتر شديد ، وهو يقول :

- ليس قبل صباح الغد يا مستر (X) .

سأله فى غضب :

- ألا توجد وسائل صناعية ، لإيقاظها قبل ذلك الموعد .

وقبل أن يجيب الطبيب ، أضاف هو فى غلظة :

- كل دقيقة لها ثمنها .

زفر الطبيب مرة أخرى ، وقال :

- سنحاول اللجوء إلى بعض الأساليب الصناعية يا مستر (X) .

قال مستر (x) فى صرامة :

ـ أتعشم أن يتم هذا فى سرعة .

قالها ، وأنهى الاتصال ، و...

وفجأة ! أضىء مصباح أحمر صغير ، فى ركن شاشة الاتصالات ..

وانتفض جسد مستر (x) فى عنف ..

فذلك المصباح كان يعنى وجود خطر ..

خطر داهم ..

هناك من تعقّب الاتصال ..

وكشفه ..

ويسعى لرصد موقعه ..

وفى ذعر ، وبقفزة سريعة ، ضغط مستر (x) زر إيقاف الإشارات ، قبل أن يتراجع إلى مقعده ، ويلهث فى انفعال ، هاتفًا :

ـ إنها هى .

كانت كل ذرة فى جسده ترتجف انفعالاً ، وهو يضغط أزرار أجهزته التكنولوجية بسرعة ، ويتابع النتائج على شاشة أخرى صغيرة ..

محاولة التعقّب هذه جاءت من الشرق ..

من (روسيا) ..

وهذا يعنى أنها هناك ..

فى قلب الجليد الروسى ..

ومع لهفته ، انطلقت أصابعه تعمل بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

وفى كل مرة ، كانت الدائرة تضيق ..

وتضيق ..

وتضيق ..

وأخيرًا ، وبعد ساعة كاملة ، تألقت عيناه ..

وحدد نقطة بعينها ..

نقطة فى قلب (سيبيريا) ..

وعندئذ فقط ، تراجع فى مقعده ، وراح قلبه يخفق فى عنف ..

لقد ظفر بها ..

حددت أجهزته الجديدة ، التى أنفق عليها ثروة طائلة ، موقعها بمنتهى الدقة ..

وهذا يعنى أنه قد ربح السباق ..

وفاز باللعبة ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، أسرع يلتقط جهاز اتصال لاسلكى عادى ، ويهتف عبره فى صرامة :

- أريد إعداد حملة عسكرية مباشرة .. نعم .. كل الأسلحة المتاحة .. الهدف ؟!

وصمت لحظة ، ثم أجاب ، بكل انفعال الدنيا :

- (سيبيريا) .

وأنهى الاتصال ..

فورًا ..

* * *

اعتدل مدير المخابرات المصرية ، فى اهتمام بالغ ، وهو يراجع التقرير ، الذى سلمه إياه معاونه ، قبل أن يتساءل :

- إذن فقد حددتم موقع (ن - ١) .

أجابه معاونه :

- هو حدد موقعه يا سيدى ، بكل ما أثاره من اضطراب ، فى العاصمة (الكولومبية) .

مطَّ المدير شفتيه لحظـة ، وتراجـع فى مقعـده ، قائلاً :

- (ن - ١) ضابط مخابرات محترف ، يدرك جيدًا أن السرية هى الدعامة الأولى لعملنا ، وما دام قد أشعل النيران ، على هذا النحو ، فهو يقصد هذا حتمًا .

تساءل المعاون فى اهتمام :

- ولماذا ؟!

هزَّ المدير رأسه ، مجيبًا :

- إنها ليست عمليـة رسـمية ، بل هى عمليته هو ؛ لذا فلا أحد يمكن أن يعرف ، ما الذى يدور فى عقله .

وافقه المعاون بإيماءة من رأسه ، قبل أن يغمغم :

- المواجهة هذه المرة خطيرة وعنيفة يا سيِّدى .

ابتسم المدير ، قائلاً :

- هو لها .

قال المعاون :

- الواقع أننى كنت أتمنى لو أنـه باستطاعتنا أن نمد له يد المعاونة .

قال المدير فى حزم :

- لو احتاجها لطلبها .

تساءل المعاون ، فى شىء من الحذر :

- أتظنه يحتاجها يا سيِّدى .

صمت المدير بعض الوقت ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يجيب فى حزم :

- كلاً .

قالها ؛ لأنه يعرف رجله جيدًا ..

ويعرف لماذا استحق عن جدارة ، ذلك اللقب ، الذى يميِّزه ، بين رجال المخابرات أجمعين ..

لقب (رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

لم يكن الهبـوط ، وسط أحراش (كولومبيا) سهلاً أو بسيطًا ..

لقد ارتطم جسد (أدهـم) بالأغصــان الجافـة ، والأوراق العريضة ، قبل أن تتعلّق مظلته بقمة شجرة عالية ..

وبحركة احترافية سريعة ، قطع حبل المظلة ، وترك جسده يهوى وسط الأحراش ..

كان كل مـا يحملـه مسدسًا صغيرًا ، بخزانـة تحوى اثنتى عشرة رصاصة ، فأسرع ينزع ثيابـه الخارجيـة ، ليبدو أسفلها زىّ يطابق زى قوات الصاعقة المصرية ..

وفى خفة ، استل مسدسه ..

وبدأ تحركه ..

كـان يحمـل بوصلـة مضيئـة صغـيرة (*) ، يسترشـد بها ، لتحديد اتجاهاته وسط الأحراش ..

وبوساطة مصباح أخضر صغير ، راح يشق طريقه ، نحو معسكر (باولو لاماس) ..

كان يعلم أن المواجهة لن تكون سهلة أبدًا ..

بل ستكون عنيفة ..

رهيبة ..

شرسة ..

وحشية ..

(*) البوصلة : جهاز عتيق ، يستخدم لتحديد الاتجاه ، وهى ــ من حيث المبدأ ــ عبارة عن إبرة مغناطيسية معلقة ، تتحاذى مع المجال المغناطيسى ، المحيط بالكرة الأرضية ، أى أنها تشير إلى القطبين المغناطيسيين ، وهما لا ينطبقان على القطبين الجغرافيين .

ولكنه لم يتراجع ..

لم يكن من الممكن أن يتراجع ..

فهناك ، فى معسكر (لاماس) ، تحيط الأسوار برفاقه ..

(منى) ..

(قدرى) ..

(شريف) ..

و(ريهام) ..

وهو مستعد لمحاربة الدنيا كلها من أجلهم ..

وبالذات من أجل (منى) ..

كان يشق طريقه ، وذهنه يستعيد ذكرياته معها ..

ذكريات عنهما ..

وزمالتهما ..

وصداقتهما ..

وحبهما ..

وارتجف قلبه ..

ارتجف ارتجافة لم يشعر بمثلها ، منذ فترة طويلة ..

طويلة للغاية ..

وتمنى لحظتها لو يراها ..

لو يتطلّع إلى عينيها ..

وينعم بقربها ..

ويتنسّم عطرها ..

و ...

صوت غصن جاف صغير يتكسّر ، جعله يتسمّر فى مكانه دفعة واحدة ..

هناك شخص ما يتتبعه ..

شخص رصد هبوطه ..

وكشف أمره ..

وفى حركة متحفّزة ، رفع مسدسه ، و...

واشتعل القتال دفعة واحدة ..

فدون سابق إنذار ، انقض عليه أكثر من عشـرة رجال ، من وسط الأحراش الوحشية ..

انقضوا عليه من كل صوب ..

وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، تحرك (أدهم) بسرعة مدهشة ..

لكم أول المنقضين عليه ..

ثم حطم أنف الثانى ..

وفك الثالث ..

وذراع الرابع ..

و ...

وانغرس ذلك السهم الصغير فى عنقه ..

قناص مجهـول ، بمنظـار للأشـعة دون الحمـراء ، باغته بسهم مخدر صغير ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) قد انتزع السهم بمنتهى السرعة ، إلا أن المادة المخدرة كانت قد انطلقت فى دمائه بالفعل ..

وسرت فى عروقه ..

وأوردته ..

وكيانه كله ..

وبكـل إرادتـه ، استدار (أدهـم) ليواجـه خصمًـا خامسًا ..

ودار رأسه فى عنف مع استدارته ..

واختلّ توازنه ..

وتثاقلت عيناه ..

وتلقى لكمة فى فكه ..

وثانية فى معدته ..

وثالثة فى مؤخرة عنقه ..

وتضافرت الضربات ، مع المادة المخدرة القوية ..

وسقط الرجل ..

سقط (أدهم صبرى) ..

فى قبضة أعدائه ..

أشرس أعدائه ..

★ ★ ★

«جهاز الاتصال ، نقل إلينا أصوات قتال عنيف ، فى أحراش (كولومبيا) .. »

نطق وزير الدفاع الأمريكى الكلمات فى توتر بالغ ، فانعقد حاجبا الرئيس ، وتساءلت مستشارة الأمن القومى ، بعصبيتها المعهودة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أشار وزير الدفاع بيده ، قائلاً :

ـ التقارير التى تم تسجيلها ، لمحادثات (لاماس) ، أوصلت خبراءنا إلى نتيجة واحدة .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا بلهجة توحى بخطورة الأمر :

ـ (أدهم صبرى) هناك .

اتسعت عينا مستشارة الأمن القومى بشدة ، فى حين انتفض الرئيس الأمريكى ، واعتدل على مقعده ، هاتفًا :

ـ مستحيل ! لقد وصلنا تقرير رسمى يفيد مصرعه .

هزّ وزير الدفاع رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ خطأ يا سيادة الرئيس .. تلك التقرير كان خطأ فادحًا ، فالأحداث فى (العراق) كانت تؤكد أنه هناك ، منذ فترة طويلة .

تساءل الرئيس فى عصبية :

ـ أية أحداث ؟!

انعقد حاجبا مستشارة الأمن القومى ، وهى تقول فى توتر :

- إنها بعض الأمور العسكرية ، لم نجد من الضرورى أن نشغلك بأمرها .

هتف الرئيس فى غضب :

- تشغلوننى بأمرها ؟! أى قول سـخيف هذا ؟! إننى الرئيس ، ومن المفترض أن أعرف كل شىء .

تبادل الوزير ومستشارة الأمن القومى نظرة بـاردة ، قبل أن تقول الأخيرة فى سخط :

- بالتأكيد .. وها نحن ذا نخبرك بما حدث .

هتف :

- هذا لا يكفى .. إننى أستعين بك كوزيـرة للخارجيـة علنًا ، وكمستشارة للأمن القومى سرًا ، وأطلعك على كل أسرار أقوى دولة فى العالم ، فكيف لا تطلعيننى أنت على ما يحدث ؟!

صاحت به فجأة :

- لأننا لا نعرف حتى ماذا يحدث !

تراجع فى مقعده مع صيحتها ، وحدّق فيها لحظـة ، ثم غمغم فى خفوت ، كتلميذ صغير ، أرعبته معلمتـه :

- ومتى سنعرف ؟!

كتم الوزير ابتسامته ، وهو يجيبه فى سرعة :

- عندما نتوصّل إلى هذا .

ثم أضافت المستشارة :

- وهناك الكثير ، مما يثير حيرتنا وتوترنا .

صمت الرئيس بضع لحظات أخرى ، ثم تساءل :

- وماذا لو أنه (أدهم صبرى) بالفعل ؟!

جاء سؤاله مفاجئًا لهما معًا ، فتبادلا نظرة متوتـرة ، وتفجّر السؤال فى رأسيهما مرة ثانية ..

نعم ..

ماذا لو أنه (أدهم صبرى) بالفعل ؟!

أى فارق يمكن أن يصنعه هذا ؟!

أى تغيير ؟!

« هذا يمنحنا فرصة التخلُّص من الجميع بضربة واحدة .. »

نطقت مستشارة الأمن القومى العبارة ، فى صرامة مفاجئة ، جعلت الرئيس ووزير دفاعه يتطلعان إليها فى توتر ، قبل أن يتساءل الأخير ، فى حذر شديد :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته بنفس الصرامة :

ـ الأمر لايحتاج إلى تفسير طويل .. إنه يبدو لى أوضح مما ينبغى ؛ فلو أن (أدهم صبرى) هناك ، فسيعنى هذا أن البيض كله قد اجتمع فى سلة واحدة ، وعبر جهاز الاتصال والتوجيه ، يمكننا أن نمطر معسكر (باولو لاماس) بالصواريخ وننسفه نسفًا ، مع رجل المخابرات المصرى ، ورفاقه الأسرى .

تساءل الرئيس فى عصبية :

ـ وبِمَ يمكن أن يفيدنا هذا ؟! إنه على العكس ، سيورطنا مع مستر (X) ، الذى يطالبنا طوال الوقت بالمصريين الأربعة .

أجابته فى حزم :

ـ كل ما يعنيه هذا هو ضرورة أن نصنع خطتنا من مرحلتين .. الأولى هى أن نبلغ مستر (X) بأن (أدهم صبرى) هناك ، فى أحراش (كولومبيا) .

تساءل الوزير هذه المرة :

ـ وبعدها ؟!

بدت أشبه بآلهة الشر ، وهى تجيب :

ـ وبعدها ننتقل إلى المرحلة الثانية ، حيث ننسف المعسكر ، بكل ما فيه ، وكل من فيه ، وننسب كل هذا لـ (أدهم صبرى) .

بدت الدهشة على الرئيس والوزير ، وتبادلا نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم الأول :

ـ يا للعبقرية !

تساءل الوزير فى اهتمام :

ـ أيعنى هذا موافقتك على الخطة ياسيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى سرعة :

ـ بالطبع يا رجل .

ثم التفت إلى مستشاره الأمنية ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ هيا .. أجرى اتصالك بمستر (X) على الفور ، وأبلغه بالجزء الأول من الخطة .

وعاد إلى وزير الدفاع ، مستطردًا :

ـ وأنت ، أصدر أوامرك بإطلاق الصواريخ .

مال وزير الدفاع برأسه ، قائلاً :

ـ بكل تأكيد .

ثم أضاف فى خبث :

ـ بعد أن توقع أوامرك بهذا ياسيادة الرئيس .

وانعقد حاجبا الرئيس الأمريكى ..

بمنتهى الشدة ..

* * *

كان الفجر يقبل بنسماته الأولى ، وفقًا لتوقيت تلك المنطقة ، من أحراش (كولومبيا) ، عندما بدأ (أدهم) يستعيد وعيه فى بطء .

كان كل ما يحيط به صامتًا ..

هادئًا ..

متموجًا ..

أصـــوات أمـــواج صـغـيرة ، كـــانت تضـــرب شـــاطئًا قريبًا ..

وزقزقة عصافير ..

وحفيف أوراق شجر ..

وهمسات طبيعية برية ..

وفى بطء ، فتح (أدهم) عينيه ..

وارتطم بصره بمشهد عنيف ..

مشهد لايتشابه ، أو يتوافق قط ، مع الهدوء المحيط به ..

مشهد (باولو لاماس) ، جالسًا على مقعد أشبه بالعرش ، ويحمل مدفعًا آليًا ضخمًا بيمناه ، فى حين يضم إليه عشيقته (لوتشيا) بيسراه ..

ومن خلفه ، يقف رجاله ..

ضخام ..

عمالقة ..

قساة ..

غلاظ ..

ووحوش ..

ومع مرآهم ، حاول (أدهم) أن يتحرك ..

ولكنه كان مقيدًا بإحكام ..

أحبال قوية ، كانت تقيد معصميه وساقيه ..

أحبال من مادة مطاطية أو بلاستيكية .

مادة لاتتشابه أيضًا ، مع الطبيعة المحيطة ..

وفى زهو شامت ، وبصوته الغليظ الخشن ، قال (لاماس) :

ـ يبدو أن سمعتك لاتتناسب كثيرًا مع واقعك أيها المصرى المغرور .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ـ أين رفاقى ؟!

تحفز رجال (لاماس) مع العبارة ، فى حين بدا هذا الأخير شامتًا ، وهو يقول :

ـ يا لك من متحذلق أيها المصرى ! تتحدث فى قوة ، وكأنك أنت من يسيطر على الموقف .

تجاهل (أدهم) عبارته تمامًا ، وهو يسأله :

ـ أما زالوا على قيد الحياة ؟!

مرة أخرى ، تحفز الرجال ، وهتفت (لوتشيا) :

ـ يا لوقاحتك !

أما (لاماس) ، فقد أطلق ضحكة ساخرة مجلجلة ، وهز رأسه ، قائلاً فى صوت غليظ :

ـ تماماً كما وصفوك .. جرىء ومكابر :

ثم أشار بيده إلى يسار (أدهم) ، قائلاً :

ـ قل لى يا رجل هل تعرف ما هذا بالضبط ؟!

ألقى (أدهم) نظرة على تلك المنطقة المتسعة من النهر ، دون أن يجيب السؤال ، فتابع (لاماس) فى شماتة :

ـ إنها بحيرتى الخاصة .. البحيرة التى تضم تماسيحى ، وهى تماسيح قوية ، جميلة ، لاتهاجمنا أبداً .

ثم مال نحو (أدهم) ، مضيفاً ، وعيناه تتألقان فى وحشية :

ـ هذا لأننا نطعمها أكثر مما ينبغى .

واعتدل ليطلق ضحكة عالية أخرى ، فابتسمت (لوتشيا) فى جذل ، وهى تقول :

ـ واليوم ، أعددنا لها وجبة خاصة .

مال (لاماس) نحوه مرة أخرى ، مكملاً :

ـ أنت يا سنيور (أدهم) .

ومع ضحكاته العالية ، انقض رجاله على (أدهم) ، وحملوه فى قسوة ، ثم ألقوا به فى قلب نهر (جرافيارى) ..

ووسط التماسيح الجائعة ..

مباشرة .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله

(الحـرب)